إستراتيجية مكافحة الفقر

في منهج

الإمام علي إبن أبي طالب (عليه السلام)

آية الله

السيد مرتضى الحسيني الشيرازي



هيئة محمد الأمين

استراتيجيات مكافحة الفقر

في منهج وتعاليم الإمام علي بن أبي طالب

عليه السلام



آية الله

السيد مرتضى الحسيني الشيرازي



الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ ٢٠١٢م

مراكز التوزيع	
مكتبة الأمين العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	مكتبة الأمين إيران - قم - ص.ب: ٤٣٥٩ هاتف: ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	دار الأمين لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم



استراتيجيات مكافحة الفقر

في منهج وتعاليم الإمام علي بن أبي طالب



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه جذر المشكلة..

لكن الحلول تبتعد عنه إلى الفروع.

إنه من معاول هدم البنية الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد، مهما اكتنزت ثرواته، وكبرت قدراته البشرية والمادية.

بينما نجد هنالك أيد صغيرة تنشغل عن قصد أو غيره، بإقامة وهذا الأمر وترسيخه والحؤول دون انهياره.

إنه (الفقر)..

هذه المفردة البسيطة في لفظها، العميقة في أبعادها، ما تزال بعيدة عن أضواء البحث والدراسة والقرارات الكبيرة على صعيد بلادنا الإسلامية وبلاد العالم، فقد مُلئت أسماعنا بالحديث عن (التضخم) و (الديون) و(الخصخصة) وأخيراً (التقشف)، لكن ما

السبب وراء كل هذه الإجراءات؟

إن أرفع مسؤول حكومي وأكبر باحث أو منظّر اقتصادي، لن يتجاوز ـ عادة ـ في رؤيته بحثاً عن جواب هذا السؤال، أكثر من العوامل والأحداث المتعلقة بالزمان والمكان، فربما يكون الصراع على السلطة والنفوذ، وربما تكون الحروب، وربما عوامل أخرى ظاهرة على سطح الأحداث..

بينما الحقيقة أعمق من ذلك بكثير!.

ولم يكلف الباحثون وأصحاب القرار أنفسهم ليتنزلوا إلى مستوى الطبقة التي طالما دفعت وما تزال ثمن إثراء الآخرين ظلماً، من كبار المسؤولين في الحكومات والعصابات العالمية من الذين يحتكرون المال لأنفسهم، فهم دون غيرهم أصحاب المصانع وشركات النفط العملاقة، وكذلك عملاقة البورصات وتجار السلع الأساسية والحيوية من دون رعاية الموازين العقلية والشرعية والعرفية، وغيرهم كثير تتصاعد أرصدتهم في البنوك مقابل تدني المستوى المعيشي لآخرين حتى الجفاف والأوبئة الفتاكة ثم الموت...!

من هنا نفهم سبب تقزز أمير المؤمنين (عليه السلام) من الفقر وتنفره منه، كما لو أنه عدوٌ مبين، حيث قال عليه السلام مقولته المشهورة:

«لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته».

ولا نجانب الحقيقة بالقول:

إن الغرب ومنظومته الاقتصادية الفتاكة، هي التي تشعر بالاستنفار هذه المرة من ظهور نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيادته في العالم، فهو عند كل منصف وحكيم، يمثل الحل الأكمل والأنجح لجميع المشاكل والأزمات التي تعاني منها البشرية اليوم، وإلا ما معنى (التضخم) إن لم يوجد هنالك جشع وطمع يحطم القدرة الشرائية للإنسان ويجعل الناس وهم يتجولون في الشوارع والأسواق، فقراء بدرجات متفاوتة؟!

وما معنى (التقشف) إن احتكرت الثروات والأراضي وفرص العمل بيد الدولة أو مجموعة صغيرة، فيما يحرم الملايين من الناس، ويكونون مثل الغرباء على بحار النفط وعلى مساحات فسيحة من الأراضي الخصبة والتي تضم ما يعلمه الله فقط من الثروات المعدنية؟

ولهذا وذاك، جاءت مبادرة سماحة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي للبحث في السبل الاستراتيجية - وليست التكتيكية - لمكافحة الفقر في المجتمع، وكانت البداية من بحث ألقاه سماحته في مؤتمر الإمام علي (عليه السلام) السنوي السادس في لندن، تزامناً مع ذكرى مولده (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام) في الثالث عشر من

شهر رجب المرجب، من حيث إن أمير المؤمنين عليه السلام هو المنار الذي يضيء لنا طريق الخلاص من هذه الحالة المرضية.

يجيب هو بنفسه عن سبب اختياره لأمير المؤمنين (عليه السلام) ليكون المرشد الأول إلى البوابة التي يخرج منها الفقر إلى الأبد من كيان الأمة، وهي بالحقيقة أسباب ذاتية وموضوعية، فقد جرّب الإمام (عليه السلام) وخبر الفقر وشظف العيش منذ نعومة أظفاره، كما جربها خلال مواكبته الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في مسيرته الإلهية لنشر الإسلام، وما رافق ذلك إجراءات ظالمة وتعسفية للمشركين ضد من آمن بالإسلام من أهل مكة. وبعد الهجرة كان عليه السلام القائد الوفي والكبير والمقدام في ميدان تطبيق القيم والمبادئ الإسلامية لاسيما في المجال الاقتصادي، فقد جسد النهج النبوي في خلق مجتمع آمن اقتصادياً ومعيشياً، فجاء عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي رحمه الله بعد تعيينه لولاية مصر، يعبّر عن المنظومة العلمية والقانونية لاقتصاد ناجح ومثمر لا يدع مجالاً للفقر بين أبناء المجتمع الإسلامي.

وهذه الدراسة التي بين يديك عزيزي القارئ محاولة جادة نرجو أن تتبعها محاولات أخرى عملية لمعالجة حالة الفقر في المجتمع والقضاء عليها تماماً، لأن مجرد وجود هذه الحالة يتعارض ويتناقض تماماً مع النظم والتعاليم التي جاء بها الإسلام.

وأهمية نشرها تأتي من الرؤية الإستراتيجية والشمولية لحل هذه المعضلة، فالمشكلة لا تكمن في أشخاص يفترشون الأرض ويستعطون الناس، إنما في العوامل والأسباب العديدة والمتشابكة التي أدت إلى وجود هذه الشريحة الكبيرة وظهورها على السطح بهذه الصورة التي طالما تثير الأسى والأسف، أكثر مما تثير الشفقة والتضامن.

بمعنى أننا لسنا أمام حل واحد، إنما حلول متتابعة ومتسلسلة من جوانب عديدة لها كثير الدخل والتأثير في حالة الفقر.

وهذا بالتحديد ما يدعونا لمطالعة هذه الدراسة.

مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام
كربلاء المقدسة

السبل الإستراتيجية لمكافحة الفقر

كان هذا الكتاب في الأصل كلمة لسماحة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي دام ظله في مؤتمر الإمام علي (سلام الله عليه) السنوي السادس الذي أقامه مركز الفردوس العالمي للثقافة والإعلام، تزامناً مع ذكرى مولد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) في ١٣ رجب ١٤٢٧ هـ، وذلك في قاعة بروجستر بالعاصمة البريطانية لندن.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وآله الغر الميامين، واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1].

---

(١) سورة هود: ٦١.

وقال سبحانه: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[2].

وقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته»[3].

وقبل البدء بهذا البحث الاستراتيجي، لابد من معرفة تعريف الفقر وحدوده ومدياته.

---

(١) سورة هود: ٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٩.

(٣) النظام السياسي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القريشي: ص٢٤٧.

بحوث تمهيدية

١

ما هو الفقر؟ [١]

ولكي نعرف مدى خطورة مشكلة الفقر، يجب أن نعرفه بشكل صحيح ومتكامل. فإن الفقر لا ينحصر في الجانب المادي فحسب،

---

(١) الفقر: هو عدم القدرة للوصول إلى الحد الأدنى من الاحتياجات المهمة المادية كالطعام والسكن والملبس ووسائل التعليم والصحة... وحاجات غير مادية مثل حق المشاركة والحرية الإنسانية والعدالة الاجتماعية. ويعرف أيضا بعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة.

ويمكن تعريف الدول الفقيرة بأنها تلك الدول التي تعاني من مستويات منخفضة من التعليم والرعاية الصحية، وتوفر المياه النقية صحياً للاستهلاك البشري والصرف الصحي ومستوى الغذاء الصحي كماً أو نوعاً لكل أفراد المجتمع، ويضاف إلى ذلك معاناتها من تدهور واستنزاف مستمر لمواردها الطبيعية، مع انخفاض مستوى دائرة الفقر.

وقد عرف البنك الدولي الدول منخفضة الدخل أي الفقيرة بأنها تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن ٦٠٠ دولار سنويا، وعددها ٤٥ دولة معظمها في أفريقيا، منها ١٥ دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٣٠٠ دولار سنويا.

وبرنامج الإنماء للأمم المتحدة يضيف معايير أخرى تعبر مباشرة عن مستوى رفاهية الإنسان و نوعية الحياة "Livelihood" هذا الدليل وسع دائرة الفقر بمفهوم نوعية الحياة لتضم داخلها ٧٠ دولة من دول العالم، أي هناك حوالي ٤٥٪ من الفقراء يعيشون في مجتمعات غير منخفضة الدخل، أي هناك فقراء في بلاد الأغنياء، ويكتفي هنا بذكر أن ٣٠ مليون فرد يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية (١٥ ٪ من السكان).

كما يتوهمه عامة الناس، بل له امتدادات واسعة إلى أبعد الحدود، ذلك أن الفقر يعني: الحاجة والحرمان، وهو على هذا يستبطن كافة العناوين التالية:

١ : الحرمان من الحب والعاطفة، وفي الحديث «وهل الدين إلا الحب»[١]، و«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢]، وفي الدعاء: «واعطف عليّ بمجدك»[٣].

٢ : افتقاد التعليم اللائق، وهو يشمل علوم الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٤].

٣ : نقص الرعاية الصحية الشاملة، وهي تشمل صحة والبدن والنفس والروح والعقل، ففي الحديث الشريف: «إنما العلوم أربعة.. وعلم الطب لحفظ الأبدان»[٥].

٤ : ضعف التربية البدنية وممارسة الرياضة التي يحتاجها الإنسان، للحفاظ على صحته الجسمية والروحية والعقلية، وذلك من أسباب استحباب السباحة والرماية و ركوب الخيل في الإسلام.

٥ : الفقر إلى المسكن المناسب الذي يلبي حاجاته الجسدية

---

(١) عن الإمام الصادق (عليه السلام): الكافي ج٢ ص١٢٥.

(٢) عن النبي (صلى الله عليه وآله)، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام): ج٤ ص١٤٦.

(٣) عن الإمام علي عليه السلام: المصباح: ص٥٦٠.

(٤) سورة الجمعة: ٢.

(٥) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام : ص٣٨٥.

والروحية والنفسية، وقد ورد في الحديث الشريف: «من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع»[1].

وكذلك الفقر والحرمان عن كل من:

٦: الملبس المناسب، قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾[3].

٧: المأكل والمشرب بحيث يتمكن الإنسان من استحصال ما يحتاجه من السعرات الحرارية والعناصر الغذائية المهمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.[5]

٨: المركب، جاء في الحديث الشريف: «ودابة سريعة»[6].

٩: الجماليات والكماليات والزينة، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

---

(١) الكافي: ج٦ ص٥٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٣١.

(٣) سورة الأعراف: ٢٦.

(٤) سورة قريش: ٣ ـ ٤.

(٥) سورة الأعراف: ٣٢.

(٦) الفقه: الإدارة، للإمام الشيرازي: ج٢ص١٧٦، ط ٢\١٩٩٢، دار العلوم بيروت.

حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾[1].

١٠: الأمن على الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، قال تعالى: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[2]، والخوف يشمل كل ما يهدد الإنسان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. قال جل وعلا: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[3]، وهي الآصار والأغلال التي حطمها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي القيود التي تحد من حرية التجارة والزراعة والصناعة والحركة والسفر والحضر وحتى الأعراف والتقاليد المقيدة للحرية.

١١: الحرمان من الحقوق الأولية والثانوية، مثل حق الإنسان في حرية الرأي والتعبير، وحقه في السفر والإقامة، و في تملك الأراضي والعقارات وفي التجارة والاستثمار[4]، وفي ألف شيء وشيء حسب القاعدة الفقهية المستفادة من قوله (صلى الله عليه وآله): «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»[5]، ومن الآية الكريمة:

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) سورة قريش: ٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) راجع (الفقه: الحريات)، و(الفقه: الحقوق) وغيرها، للمرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي ﵀.

(٥) الخلاف، للشيخ الطوسي: ج٣ ص١٧٦.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى﴾[1]، وقوله (صلى الله عليه وآله): «لا ضرر ولا ضرار»[2] وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

١٢: الحرمان من الفكر والثقافة والعقيدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[5].

١٣: فقر المجتمع والدولة، حيث إن الفقر ليس خاصاً بالإنسان الفرد، فإن له مصاديقه الظاهرة في افتقار الدولة للمؤسسات الدستورية، وفي افتقار الدولة والمجتمع لمؤسسات البنية التحتية.[6]

١٤: افتقاد الاستقلال الاقتصادي والسياسي.

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٦.

(٣) سورة الكافرون: ٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٥١.

(٥) سورة المائدة: ٢.

(٦) يراجع: (معالم المجتمع المدني في منظومة الفكر الإسلامي)، للمؤلف.

٢
الإمام علي عليه السلام ومساحات الفقر

هذه الشمولية في أبعاد الفقر تعكسها أحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام).

❖ أ: فقد أشار (عليه السلام) إلى الفقر العلمي بقوله: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل»[١]، والجهل في حد ذاته فقر وحرمان علمي وثقافي، وهو سبب من أهم أسباب الفقر الاقتصادي أيضاً.

❖ ب: كما أشار (عليه السلام) إلى الفقر والحرمان من الثقافة والوعي والرشد الفكري بقوله: «أكبر الفقر الحمق»[٢].

❖ ج: وأشار (عليه السلام) إلى الفقر والحرمان من الأمن والحماية الاجتماعية والسياسية بقوله: «وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم»[٣]، و(الزوافر) جمع (زافرة): وهي من البناء ركنه، ومن الرجل أهله وأنصاره، وهذا الفقر يعم الفقر الفردي

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٨.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٣٤

وفقر الدولة وفقر المجتمعات أيضاً.

❖ د: كما أشار (عليه السلام) إلى الفقر الروحي والأخلاقي بقوله: «شر الفقر فقر النفس»[1]، و«أكبر البلاء فقر النفس»[2]. كما يشمله إطلاق قوله: «رب فقير أغنى من كل غني»[3].

بل إن الفقر هنا له مصاديق عديدة، منها الفقر في الصحة أو في الأمن أو في الحقوق وغيرها، فربما يكون هنالك فقير في ماله لكنه غني بصحته، وقد يوجد هنالك غني بماله، ولكن هذا المال عاجز عن توفير الصحة والسلامة لصاحبه، أو ربما يكون هنالك غني بماله لكنه فقير من حيث حقوقه الأولية والثانوية كحرية التعبير والرأي وحرية السفر والحضر وحرية التملك والاستثمار وغيرها، فإنه يكون أسوأ حالاً من الغني بحقوقه مع فقره من المال.

❖ هـ: كما تمت الإشارة إلى الفقر الديني والعقائدي في قوله (صلى الله عليه وآله): «الفقر سواد الوجه في الدارين»[4]، والمقصود بالفقر هنا، الفقر من الدين والتقوى والورع والمثل الأخلاقية العليا، وهي السبب في خسران الدنيا والآخرة، فإن الفقير من

---

(١) غرر الحكم: ص٢٣٢.

(٢) غرر الحكم: ص٢٣٢.

(٣) غرر الحكم: ص٣٦٦.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٣٠.

الوازع الديني لا يتورع عن ارتكاب السرقة والاغتصاب والقتل ومختلف أشكال الاعتداءات.

كما أن الدولة المجردة من الوازع الديني والأخلاقي تصادر حريات الناس، وتلقي بالأحرار والأبرياء في السجون، وتقمع الأكثرية والأقلية معا! وتلك كلها سواد الوجه في الدارين.

❖ و: كما أن الآية الشريفة التي حكت قول نبي الله موسى (عليه السلام): ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (١)، وإن كان شأن نزولها الطعام، إلا أنها تشمل ـ إطلاقاً أو ملاكاً ـ كل المعاني الممكنة للفقر، فإن الإنسان مفتقر في كل شؤونه إلى كل أنواع عطايا الله سبحانه وتعالى.

❖ ز: وقال الإمام علي (عليه السلام): «أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة وخلفه لغيره» (٢).

فالفقر ليس عدم تملك الأموال والثروات، بل هو الحرمان من الاستفادة منها واستثمارها لرفع حوائج الإنسان المادية منها والمعنوية، السياسية منها والاجتماعية، العلمية منها والفكرية والثقافية، الأساسية منها والجمالية والكمالية..

إذاً: فمن يملك المليارات لكنه لا يستثمرها في الدفاع عن

---

(١) سورة القصص: ٢٤.

(٢) غرر الحكم: ص٣٦٩.

حقوقه وحقوق أمته فهو (فقير)، بل هو (أفقر الناس).. والدولة التي تملك مئات المليارات لكنها لا تصرفها في مؤسسات البنية التحتية وتقوية المؤسسات الدستورية فهي فقيرة أيضاً.

نعم يبقى أن (الفقر) الوحيد الحسن والنافع والذي هو عين (الغنى)، هو الفقر إلى الله تعالى، فقد جاء في الدعاء الشريف: «اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك»[1]. وكذلك ما جاء في صحف إدريس عليه السلام: «لا غنى لمن استغنى عنك، ولا فقر بمن افتقر إليك»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٣١.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٥ ص٤٦٢.

٣
الفقر التحدي الأعظم

الفقر يُعد من أهم التحديات التي واجهت البشرية على مر التاريخ، ويشكل هو والجهل والمرض وانعدام الأمن بأبعاده المختلفة، الأضلاع الأربعة للتخلف والشقاء البشري..

ولايزال الفقر يشكل الظاهرة الأخطر، والهاجس الأكبر للبشرية، رغم كل التطور العلمي وكل البرامج والمناهج الاقتصادية على الصعيد المحلي والدولي، فقد جاء في تقرير لرئيس البنك الدولي:

(إن من بين ٦ مليارات بشر يوجد ٢,٨ مليار إنسان يعيشون بأقل من دولارين باليوم، ويوجد ١,٢ مليار بشر يعيشون بأقل من دولار في اليوم، ومن كل مائة رضيع يموت ستة قبل أن يبلغوا السنة الأولى من عمرهم، أما الأطفال الذين يبلغون سن التعليم فإن ٩ ذكور و١٤ أنثى من بين كل مائة طفل يتمكنون من الالتحاق بالمدرسة الابتدائية، والباقي يكونون خلف الأبواب)[١].

---

(١) يقوم البنك الدولي كل عدة سنوات بنشر تقديرات محدّثة عن أوضاع الفقر، استناداً إلى أحدث البيانات العالمية المتعلقة بتكلفة المعيشة، وكذلك إلى المسوحات ◄

◀ القطرية الخاصة بمعدلات الاستهلاك لدى الأسر المعيشية. وتشير التقديرات التي نشرها البنك الدولي يوم ٢٩ فبراير/شباط ٢٠١٢ إلى أن عدد من يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم بلغ نحو ١,٢٩ مليار شخص في عام ٢٠٠٨، وهو ما يعادل ٢٢ في المائة من سكان العالم النامي. ويعتمد التقرير المحدث على ٨٥٠ مسحاً للأسر المعيشية تم إجراؤها في ١٣٠ بلداً تقريبا.

وفي هذا الصدد، قال مارتن رافاليون، مدير مجموعة بحوث التنمية التابعة للبنك الدولي ورئيس فريق العمل الذي أصدر هذه الأرقام: "لقد أحرزت بلدان العالم النامية ككل تقدماً كبيرا في مكافحة الفقر المدقع، لكن من تجاوزوا خط الفقر والذين بلغ عددهم ٦٦٣ مليون شخص، مازالوا، مثلما حدث في البلدان الأشد فقرا، فقراء بمعايير البلدان متوسطة ومرتفعة الدخل. وهذا الارتفاع فوق خط الفقر المدقع دليل على حالة الضعف التي يعاني منها عدد كبير من الفقراء في العالم. ووفقاً للمعدل الحالي من التقدم، فإن عدد الفقراء المدقعين سيكون في حدود مليار شخص فقط بحلول عام ٢٠١٥."

ويمثل خط الفقر عند مستوى ١,٢٥ دولار المتوسط المستخدم في أفقر ١٠ إلى ٢٠ بلدا في العالم. ويكشف الخط الأعلى للفقر عند مستوى دولارين للفرد في اليوم (وهو المتوسط بالنسبة للبلدان النامية) تحقيق تقدم أقل بالمقارنة بمتوسط ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم. وبالفعل، كان هناك انخفاض متواضع في عدد من يعيشون على أقل من دولارين للفرد في اليوم في الفترة من ١٩٨١ إلى ٢٠٠٨، من ٢,٥٩ مليار شخص إلى ٢,٤٤ مليار شخص، وإن انخفض بشدة منذ عام ١٩٩٩.

من جانبه، قال خاييمي سافيدرا، مدير فريق البنك المعني بتقليص الفقر وتحقيق الإنصاف:

"معدلات الفقر البالغة ٢٢ في المائة في البلدان النامية لمن يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم، و ٤٣ في المائة لمن يعيشون على أقل من دولارين للفرد في اليوم تعد أرقاما غير مقبولة. نحتاج إلى زيادة جهودنا. فعلى جانب السياسات والبرامج، نحن بحاجة إلى مهاجمة الفقر على جميع الجبهات، من خلق وظائف أكثر وأفضل إلى توفير خدمات تعليمية وصحية وبنى تحتية أفضل من أجل حماية الفئات ◀

إن مشكلة الفقر معقدة جداً، ومتداخلة مع كافة مناحي الحياة الأخرى؛ السياسية منها والاجتماعية، والنفسية والفكرية والروحية، والقانونية والدينية، وبما أن لكل عامل علاقة متبادلة مع الفقر، فهو يؤثر في خلق هذه المشكلة تارةً، ويتأثر بها أخرى، فقد بات واضحاً عجز الإنسان عن التوصل إلى حل شامل ومتكامل لمشكلة الفقر[1]، وإذا كان ثمة حل جذري للمشكلة، فإن

◀ الضعيفة والمتأثرة. أما على جانب عملية القياس، فإن البلدان بحاجة إلى توسيع عملية جمع البيانات وتعزيز القدرات الإحصائية، خاصة في البلدان منخفضة الدخل."

كما صرح البنك الدولي في ٢٦ أغسطس/آب ٢٠٠٨ بأن التقديرات الاقتصادية المُحسّنة أظهرت وجود عدد أكبر من الفقراء في أنحاء العالم عما كان مُعتقداً في السابق، وفي دراسة جديدة بعنوان "العالم النامي أكثر فقراً عما كان مُعتقداً، لكنه ليس أقل نجاحاً في الحرب ضد الفقر"، قام كل من Martin Ravallion و Shaohua Chen بتنقيح تقديرات الفقر منذ ١٩٨١، وخلصا إلى أنه مازال هناك ١،٤ مليار شخص (واحد من بين كل أربعة) في العالم النامي يعيشون على أقل من ١،٢٥ دولار للفرد في اليوم في ٢٠٠٥، وذلك مقابل ١،٩ مليار شخص (واحد من بين كل اثنين) في ١٩٨١. للمزيد من المعلومات: http://worldbank.org.

(١) حسب إحصاء قديم يعيش فوق كوكب الأرض اكثر من ٦ مليارات من البشر يبلغ عدد سكان الدول النامية منها ٤،٣ مليارات، يعيش منها ما يقارب ٣ مليارات تحت خط الفقر وهو دولاران أميركيان في اليوم، ومن بين هؤلاء هنالك ١،٢ مليار يحصلون على أقل من دولار واحد يوميا. ونصف سكان العالم تقريباً يعيشون اليوم في المدن والبلدات. في عام ٢٠٠٥، وحوالي الثلث (١ مليار نسمة) يعيشون في أحزمة الفقر. وفي البلدان النامية نجد أن نسبة ٣٣،٣٪ ليس لديهم مياه شرب آمنة أو معقمة صالحة للشرب والاستعمال، و٢٥٪ يفتقرون للسكن اللائق، و٢٠٪ يفتقرون لأبسط ◀

◀ الخدمات الصحية الاعتيادية، و٢٠٪ من الأطفال لا يصلون لأكثر من الصف الخامس الابتدائي، و٢٠٪ من الطلبة يعانون من سوء ونقص التغذية. ويموت حوالي ٣٠,٠٠٠ طفل يومياً بسبب الفقر؛ ويشير أحد الباحثين في احصائية أخرى إلى أن خمسين ألف شخص يموتون كل يوم بسبب الفقر، وأن ما يناهز نصف سكان العالم يعيشون تحت خط الفقر فضلا عن أن نسبة ٧٠٪ منهم من النساء. ويموت ١,٨ مليون طفل سنوياً بسبب الإسهال؛ و١,٤ مليون يموتون سنوياً بسبب نقص المياه والمرافق الصحية و٢,٢ مليون من أمراض يمكن التلقيح ضدّها، وفي كل سنة، هناك ٣٥٠ ـ ٥٠٠ مليون حالة ملاريا، يموت منهم حوالي المليون، وتستأثر إفريقيا بنسبة ٩٠٪ من وفيات الملاريا، والأطفال يشكلون أكثر من ٨٠٪ من ضحايا الملاريا في جميع أنحاء العالم. كما أن حوالي ٧٢ مليون طفل في سن التعليم الابتدائي في الدول النامية كانوا خارج المدرسة في عام ٢٠٠٥؛ منهم ٥٧٪ إناث، وبين ٢٧ و٢٨٪ من أطفال الدول النامية يعانون من نقص في الوزن أو التقزّم. فثلث سكان الدول النامية لا يتوقعون العيش أكثر من ٤٠ عاماً نتيجة نقص الغذاء. كما أن ١,٦ مليار نسمة ـ أي ربع الإنسانية ـ يعيشون بلا كهرباء، كما أن مليار شخص في البلدان النامية لا يحصلون على كمية كافية من المياه.

وقد رفع البنك الدولي تقديرات سابقة لعدد الذين يعيشون في فقر مدقع في الدول النامية عقب تعديله مقياس الفقر إلى من يعيش على ١,٢٥ دولار يوميا بدلا من دولار واحد. وأفاد البنك بأن ١,٤ مليار نسمة أي ما يعادل ٢٥٪ من سكان العالم النامي كانوا يواجهون فقرا مدقعا ويعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار في اليوم عام ٢٠٠٥ في أفقر عشر دول إلى عشرين دولة على المستوى العالمي. وقال البنك في عام ٢٠٠٧ إن من يعيشون دون خط الفقر في العالم الذي كان دولارا واحدا في اليوم بلغوا مليار نسمة. وذكر البنك أن مائة مليون نسمة قد يدخلون في قائمة الفقراء جراء ارتفاع أسعار المواد الغذائية والطاقة. واستشهدت الأمم المتحدة بتقرير جديد للبنك الدولي يقول بأن الأزمة أضافت ٥٠ مليون شخص إلى عدد الذين يعانون من فقر مدقع في ٢٠٠٩ كما ستضيف ٦٤ مليونا آخرين في ٢٠١٠ خاصة في منطقة جنوب الصحراء وشرق وجنوب شرق آسيا. كما زاد أيضا عدد الذين يعانون من الجوع ◀

◀ بحيث وصل عدد الذين يعانون من سوء التغذية إلى أكثر من مليار شخص في ٢٠٠٩ بسبب أزمة الغذاء التي تزامنت مع الأزمة الاقتصادية. وتقول إحصاءات منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) إن أكثر من مليار شخص في العالم يعانون من نقص التغذية، أي حوالي سدس سكان كوكب الأرض. كما أن نحو ثلث سكان العالم (٢,٥ مليار نسمة) يفتقرون إلى القدرة على الوصول إلى مرافق الصرف الصحي الأساسية، وأكثر من مليار من سكان العالم يتبرزون في العراء.

وفي المقابل توضح الإحصاءات الغربية بالأرقام أن الدول الصناعية تملك ٩٧٪ من الامتيازات العالمية كافة، وأن الشركات الدولية عابرة القارات تملك ٩٠٪ من امتيازات التقنية والإنتاج والتسويق، وأن أكثر من ٨٠٪ من أرباح إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في البلدان النامية يذهب إلى ٢٠ دولة غنية. وهناك حوالي ٠,١٣٪ من سكان العالم يسيطرون على ٢٥٪ من الأصول المالية، أي ٢٧ تريليون دولار بيد ٧ ملايين إنسان في العالم فقط، وتوضح الدراسات أنهم لو ساهموا بـ ١٪ من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي. كما ان أقل من ١٪ (واحد بالمائة) مما ينفقه العالم كل سنة على التسلح يكفي لإدخال كل الأطفال إلى المدرسة. ويصرف الأوروبيون على البوظة والأميركيون على العطور ومأكولات الحيوانات المنزلية ٤٠ مليار دولار في السنة، أي ما يكفي لسد النقص في الصحة الإنجابية للنساء والتعليم الأساسي والماء والنظافة والصحة العامة والغذاء للجميع حول العالم.

يقول جوزيف ستيغليتز الحائز جائزة نوبل للاقتصاد: إن الأرقام في الوقت الحاضر تشير إلى أن الحلم الأميركي مجرد أسطورة، فالمساواة في الفرص في الولايات المتحدة اليوم أقل من حالها في أوروبا ـ بل في أي دولة صناعية متقدمة تتوفر البيانات عنها. وهذا واحد من الأسباب التي تجعل من أميركا الدولة صاحبة أعلى مستوى من التفاوت وعدم المساواة بين كل الدول المتقدمة ــ والفجوة بينها وبين بقية الدول المتقدمة آخذة في الاتساع. فأثناء فترة "التعافي"، ٢٠٠٩ـ٢٠١٠، استحوذ المنتمون إلى شريحة الواحد في المائة الأعلى دخلاً في الولايات المتحدة على ٩٣٪ من نمو الدخل. وبنظرة أكثر تدقيقاً إلى هؤلاء عند القمة، سوف نكتشف دوراً غير متناسب ◀

◀لعبه هؤلاء المستغلون: فقد حصل بعضهم على ثرواتهم من خلال ممارسة القوة الاحتكارية.

وتشير الإحصائيات المتعلقة بالعالم العربي إلى أن حوالي ٤٠ مليون عربي يعانون من نقص التغذية أي ما يعادل ١٣ بالمئة من السكان تقريبا، بالإضافة إلى أن نحو مائة مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر أي ما يعادل تقريبا ثلث سكان العالم العربي. فـ٩٪ من أطفال العالم العربي يموتون تحت سن الخامسة نتيجة الفقر وسوء التغذية. و١٥٪ من أطفال العالم العربي ناقصي الوزن. وكشفت وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي في العراق أن الفقر داخل المجتمع وصل ٢٣٪ من أبنائه من العيش تحت مستوى خط الفقر وهم يشكلون ما لا يقل عن ٧ ملايين عراقي" لا يتجاوز دخلهم اليومي دولاراً أميركياً واحداً. وكشف تقرير آخر صادر عن وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي أواخر العام ٢٠٠٧ أن الفقر شمل ٦٠٪ من العراقيين في حين بلغت نسبة البطالة ٥٠٪.

وذكرت مؤسسة أشوكا، أن ٥٢٪ من المصريين يعيشون على أقل من ٢ دولار يوميا وأن ١٠٪ من المجتمع يعاني من الإعاقة، وأن ٦٨٪ من قطاع الإسكان عشوائيات، وهو ما يجعل مصر تصنَّف ضمن الدول الأكثر فقراً في العالم.

ويرى الخبراء أن أكثر من نصف أطفال بنجلاديش يعيشون في فقر ومحرومون من الطعام والخدمات الصحية والمأوى ويفتقرون لفرص الهروب من أوضاعهم هذه. فهناك ٣٣ مليون طفل دون سن ١٨ عاماً، أي حوالي ٥٦ بالمائة من مجموع أطفال البلاد، يعيشون حالياً تحت خط الفقر المحدد عالمياً في دولار واحد لكل شخص في اليوم. ويصل مجموع سكان البلاد إلى ١٤٠ مليون نسمة، من بينهم ٦٦ مليون طفل، أي حوالي ٤٤ بالمائة من مجموع السكان.

❖ ملاحظة: هذه الأرقام حول الفقر التي نشرتها وكالات الأنباء نقلا عن منظمات دولية مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي ومنظمات أخرى، قد لا تعبر عن الواقع الحقيقي لأزمة ومشكلة الفقر في العالم، فهذه التقارير تحاول ◀

مصدره السماء، حيث إن الإله الحكيم والعادل والعالم المحيط والقادر هو الذي تكمن عنده حل المشكلة بما فيها مكوناتها الثلاث: (البشر ـ الثروات ـ النظم والمناهج).

من هنا كان انطلاقنا للتعرّف على حل مشكلة الفقر على ضوء التعاليم الإلهية التي أرشد إليها القرآن الكريم وكلمات رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

▶أن تبدو متفائلة في طرحها لأرقام تراها تعبر عن انخفاض عدد الفقراء في العالم بالقياس إلى عام ١٩٨١، وهي تحاول أن تنسب لنفسها إنجازات قد لم تتحقق على أرض الواقع، فلم تحتسب هذه المنظمات نسبة التضخم في الدول الفقيرة كما لم تحتسب انخفاض قيمة الدولار، كما لم تأخذ بالحسبان بروز ظاهرة العولمة وانفتاح الاسواق.

٤
لماذا انتخبنا الإمام علياً عليه السلام
مُنظراً ومعلماً ومرشداً؟

لقد كان الباعث الرئيس على اعتبار كلمات وحِكَم وممارسات الإمام علي بن أبي طالب (عليهما سلام الله) الاقتصادية هي المرجع الأساس للتعرف على الحلول الإستراتيجية لمكافحة الفقر، هو مجموعة من العوامل التالية:

١ : لأنه عليه السلام الأعرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنهج السماء، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أعلمكم علي»[1].

٢ : لأنه عليه السلام خلّف لنا في أحاديثه وكلماته وخطبه خاصة عهده لمالك الأشتر، خطوطاً عريضة ترسم إستراتيجية واضحة المعالم لمكافحة الفقر على مدى التاريخ.

٣ : ولأنه عليه السلام خبر المعاناة في حياته اليومية، فقد ولد في بيئة فقيرة و ذاق فيها طعم الفقر، فأحس بعمق مأساة الفقراء.

٤ : ولتميّزه (عليه الصلاة والسلام) بتجربة كبيرة وخبرة واسعة في التعامل مع هذه المشكلة، فقد عاشر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فترة

---

(١) الكافي: ج٧ ص٤٢٤.

الفقر الشديد، ثم فترة الثروات الطائلة التي انهالت على رسول الله (صلى الله عليه وآله). ورأى عليه السلام وتعلّم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف يتعامل مع الفقر؟ وكيف يتعامل مع الغنى؟ وكيف يوظف كل ذلك لوضع خطة متكاملة من كل الجوانب لمكافحة الفقر.

٥ : تحمله عليه السلام معاناة استمرت فترة طويلة، وتحولت إلى ممارسات عملية ميدانية لمكافحة الفقر. فعندما تزوج عاش حياة الفقراء مع زوجته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فكان أحياناً يرهن درعه ليقترض ثلاثة أصوع من الشعير لقوت يومه[1]، وقد عمل عليه السلام وكدّ وكدح في التجارة والزراعة، ثم

---

(١) روى الجمهور في سبب نزول هذه الآيات في أهل البيت (عليهم السلام): ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ {سورة الإنسان: ٨} ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ {سورة الإنسان: ٩} : أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنذر علي عليه السلام صوم ثلاثة أيام، وكذا أمهما فاطمة عليها السلام وخادمتهم فضة، لئن برئا. فبرئا، وليس عند آل محمد عليهم السلام قليل ولا كثير، فاستقرض أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة أصوع من الشعير، وطحنت فاطمة عليها السلام منها صاعا، فخبزته أقراصا، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام المغرب، ثم أتى المنزل، فوضع بين يديه للإفطار، فأتاهم مسكين وسألهم، فأعطاه كل واحد منهم قوته، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا. ثم صاموا اليوم الثاني، فخبزت فاطمة عليها السلام صاعا آخر، فلما قدمته بين أيديهم للافطار أتاهم يتيم وسألهم القوت، فتصدق كل منهم بقوته. فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للإفطار، أتاهم أسير وسألهم فأعطاه كل منهم قوته، ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء، فرآهم النبي صلى الله عليه وآله في اليوم الرابع وهم ◄

عندما انهالت عليه الثروة، بقي حاملاً منهجه المتكامل والمتميز في مكافحة الفقر والذي كان من بنوده (الضمان الاجتماعي) و(التكافل الاجتماعي) وغيرها كثير، فكان قد وظف كل ثرواته لمكافحة الفقر[1].

٦: تميزه عليه السلام بمثابرة استثنائية وبإرادة جبارة لتقديم الحلول النموذجية المقابلة للفقر، وذلك من خلال استصلاح الأراضي الشاسعة خارج المدينة، مستفيداً من فترة الإقامة الجبرية التي فرضت عليه لمدة ٢٥ سنة لمعارضته للدكتاتورية وللانقلاب على

◄يرتعشون من الجوع وفاطمة عليها السلام قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عينها، فقال صلى الله عليه وآله: وا غوثاه يا الله، أهل محمد يموتون جوعاً، فهبط جبرئيل فقال: خذ ما هنأك الله تعالى به في أهل بيتك، فقال: وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: ﴿هل أتى﴾. راجع شواهدالتنزيل، للحاكم الحسكاني: ج٢ ص٣٩٣ ـ ٤١٤ ح١٠٤٢ ـ ١٠٧٠. مناقب المغازلي: ص٢٧٢ ح ٣٢٠، أسباب النزول للواحدي: ص٢٩٦، الدر المنثور للسيوطي: ج ٨ ص٣٧١، ذخائر العقبى: ص١٠٢، تفسير البيضاوي: ج٥ ص١٦٥، تفسير الطبري: ج ٢٩ ص١٢٥، تفسير الفخر الرازي: ج٣٠ ص٢٤٣، الكشاف للزمخشري: ج٤ ص٦٧٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٢١، إحقاق الحق للتستري: ج٣ ص ١٥٨ ـ ١٩٦، وج٩ ص١١٠ ـ١٢٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١ ص٣٠١. وقال أحد الأدباء في هذه الحادثة الشريفة ـ كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩ ص١٠١ :

جاد بالقرص والطوى ملء جنبيه ❖ وعاف الطعام وهو سغوب

فأعاد القرص المنير عليـــه ❖ القرص والمقرض الكرام كسوب

(١) يراجع كتاب (الضمان الاجتماعي في الإسلام). وأيضاً (السياسة من واقع الإسلام) للمرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.

منهج رسول الله (صلى الله عليه وآله). وبذلك ثقف الناس على العمل والإنتاج بدلاً من انتظار مساعدة الآخرين[1].

٧: تألقه (عليه السلام) نظرياً وعملياً عندما أضحى حاكماً على الدولة الإسلامية التي لم تكن تغرب عنها الشمس آنذاك، فقدم نظرية اقتصادية متكاملة ثم طبقها على الواقع، فتحولت البلاد إلى جنة لا يرى فيها فقير واحد، وذلك في أقل من خمس سنوات، حتى قال هو (عليه السلام):

«ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص! ولا عهد له بالشبع!»[2]

وحتى إن أفريقيا لم يبق فيها فقير واحد، كما يذكره المؤرخون.[3]

---

(١) جاء في كتاب (السياسة من واقع الإسلام) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله): (إن الإسلام اتخذ سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها، وذلك بإباحة الأراضي لمن عمّرها بالبناء، أو الزراعة، أو فتح قناة، أو شق عين، أو تشييد المصانع والمعامل، أو غير ذلك. وبالتحبيذ إلى العمل والزراعة، واتخاذ دور وسيعة، وغيرها. فعن النبي (صلى الله عليه وآله): «من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق».

(٢) نهج البلاغة: ج٣ ص٧٢.

(٣) يقول المرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي ﷺ: (وفر الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في حكومته لجميع شعبه: المسكن والرزق والماء، مع العلم بأن حكومة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت واسعة جداً، تشمل ما يقارب خمسين دولة حسب خارطة اليوم، منها مصر والحجاز واليمن وإيران ◄

ويعكس عهده عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه[1] جانباً من منهجه الاقتصادي المتميز والمبتكر في مكافحة الفقر.

والآن لننطلق معاً لنتلمس بعض ملامح الأسس التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) لمعالجة ظاهرة الفقر، وبعض معالم إستراتيجيته الخالدة.

◄والخليج والعراق وغيرها، فهي أكبر دولة في عالم ذلك اليوم، ومع ذلك وفر الإمام (عليه السلام) بسياسته الحكيمة كل ذلك لكل شعبه.

ومن الطبيعي أن الإمام (عليه السلام) طبق قانون الإسلام بكامله، فالقانون الشرعي يقول: (الأرض لله ولمن عمّرها) فكان (عليه السلام) يعطي الأرض للناس مجاناً، ثم يساعدهم من بيت المال لأجل إحياء الأراضي وعمرانها. مضافاً إلى أن التجارة والزراعة والصناعة وغيرها كانت في حكومته (عليه السلام) حرة، وكان الناس ينتفعون بمختلف المكاسب ويحصلون على الأرزاق المحللة، بالإضافة إلى ما كان يقسم عليهم الإمام (عليه السلام) من بيت المال. وكان الناس يحصلون على الماء بحفر الأنهر والآبار، وذلك بملأ حرّيتهم، ومن دون أية ضريبة أو إجازة أو ما أشبه. وبذلك كله تمكن الإمام (عليه السلام) أن يهيأ لعموم شعبه المسكن والرزق والماء، وهذا ما لم تتمكن منه حتى البلاد الغربية التي تدعي أنها وصلت إلى قمة الحضارة في يومنا هذا. وقد انتفت البطالة أيضاً في ظل حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) لوجود الكسب الحلال لكل إنسان. ولم يكن يوجد في بلاد الإمام (عليه السلام) الواسعة حتى فقير واحد، فقد قال (عليه السلام) في كلمة له: (لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع) فان في استعماله (عليه السلام) كلمة (لعل) إشارة إلى نفي الفقر عن البلاد بحيث لم يكن القائد متيقناً بوجود فقير واحد. راجع كتاب (فاطمة الزهراء (عليه السلام) أفضل أسوة للنساء).

(١) يمكن مراجعة نصّ عهد أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية الكتاب.

الفصل الأول

الحلول الإستراتيجية لمكافحة الفقر

أقسام الحلول الإستراتيجية

تنقسم الحلول الإستراتيجية لمكافحة الفقر إلى قسمين:

القسم الأول: حلول (الدفع) أو (الموانع).. وهي تحول دون تولد الفقر، وترتبط بالبنية التحتية والمنهج العام والأرضية التي تعد حاضنة لمشكلة الفقر.

القسم الثاني: حلول (الرفع) أو (الروافع).. وهي تعالج الفقر بعد حدوثه.

ويمكننا الإشارة إلى هذه الحلول بشكل إجمالي والتي تتوزع بين الدفع والرفع من خلال النقاط التالية:

❖ أولاً: الالتزام باتباع حكمة الله في الكون

هذا الالتزام ببساطة هو التجاوب والتفاعل مع قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[1] بمعنى أن كل الثروات لكل الناس، وهذا يعني أن الدولة لا تملك الأراضي ولا المعادن، ولا

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

البحار، ولا الأجواء، وغيرها بل كلها تعود بملكيتها للناس مباشرة، فمن حاز شيئاً كان له وعلى الدولة تنظيم هذه العملية وحسب. وبذلك فإن تكاليف هائلة جداً سترفع وبكل بساطة عن كاهل الفقراء، فلكي يمتلك الفقير مسكناً ـ مثلاً ـ لن يكون بحاجة إلى شراء الأرض، إذ يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الأرض لله ولمن عمرها»[1]، بل يملكها بالحيازة فلا يتحمل إلا نفقات البناء فقط.

هذه الفقرة من القانون الإسلامي لها تأثير كبير جداً في توجيه أكبر ضربة للبطالة والغلاء والتضخم[2]، وذلك لتوفير الأراضي

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٢٨.

(٢) التضخم يعد من أكثر الاصطلاحات الاقتصادية شيوعاً، وبالرغم من ذلك فإنه لايوجد اتفاق بين الاقتصاديين بشأن تعريفه، ويرجع ذلك إلى انقسام الرأي حول تحديد مفهوم التضخم حيث يستخدم هذا الاصطلاح لوصف عدد من الحالات المختلفة، مثل: الارتفاع المفرط في المستوى العام للأسعار. ارتفاع الدخول النقدية أو عنصر من عناصر الدخل النقدي مثل الأجور أو الأرباح. ارتفاع التكاليف. الإفراط في خلق الأرصدة النقدية.

وليس من الضروري أن تتحرك هذه الظواهر المختلفة في اتجاه واحد في وقت واحد، بمعنى أنه من الممكن أن يحدث ارتفاع في الأسعار دون أن يصحبه ارتفاع في الدخل النقدي، كما أن من الممكن أن يحدث ارتفاع في التكاليف دون أن يصحبه ارتفاع في الأرباح، ومن المحتمل أن يحدث إفراط في خلق النقود دون أن يصحبه ارتفاع في الأسعار أو الدخول النقدية. وبعبارة أخرى فإن الظواهر المختلفة التي يمكن أن يطلق على كل منها (التضخم) هي ظواهر مستقلة عن بعضها بعضاً إلى حد ما ◄

والأحجار وكافة المعادن والخشب وشبهها، بالمجان للناس، من أجل بناء دور سكن أو مصانع أو محلات ومتاجر، أو مراعي ومزارع وشبه ذلك، وذلك يعني توفير فرص عمل هائلة، كما يعني زيادة قدرة الفقراء على الاستثمار، وذلك من خلال توفر الأرض وقسم من رأس المال الذي يحتاجه ذوو الدخل المحدود لبناء مزرعة لتربية الدواجن أو مرعى للأغنام والأبقار وسائر المشاريع الإنتاجية، إذ لن يكون هذا الإنسان بحاجة إلى دفع مبالغ للدولة للعمل في أرض زراعية أو غيرها.

وكذلك في حال إنشاء مصنع، لن يكون بحاجة إلى توفير ثمن شراء الأرض أو ثمن توفير المواد الإنشائية، بل كل ذلك يتوفر له مجاناً، فله أن يستقطع من الجبال أو من أشجار الغابة أو من المعادن ما شاء مما يحتاجه.

وهذا المنهج هو الذي طبقه الإمام علي (عليه السلام) في دولته الكبيرة والمترامية الأطراف، فكانت الأراضي مباحة للجميع، وكذا الغابات وغيرها، وحسب المصطلح الفقهي فإن (الأنفال)[1] وهي

◄ وهذا الاستقلال هو الذي يثير الإرباك في تحديد مفهوم التضخم.

(١) الأنفال جمع (نفل)، وهو بمعنى الزيادة، وقد أطلقت على (النوافل اليومية) أيضا لأنها زيادة على الفريضة، وربّما تستعمل في العطيّة، ولعلّ المعنيين متقاربان. وقد أُطلق هذا اللّفظ في الآية و أُريد منه غنائم الحرب، فيكون مساوياً لقوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ►

شطوط الأنهار وسيف البحار وقمم الجبال وبطون الوديان وغيرها كانت كلها مباحة للناس، والمهم أن ينطلقوا ويبنوا ويزرعوا ويستثمروا دون أن يدفعوا فلساً واحداً لشراء ما خلقه الله بالأصل لهم، ودون أن يمروا بأي روتين إداري، ودون أن يدفعوا ضريبة لمجرد أنهم بنوا داراً أو معملاً أو مزرعة. ألم يقل تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾؟

❖ ثانياً: الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية

وهو القانون الذي سنّه (عليه السلام)، بأن أعطى الأولوية المطلقة للإعمار والتنمية والإنتاج، وليس للضرائب[1]. هذا القانون نصّت

◄ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنفال: ٤١) والآيتان نزلتا في غزوة بدر.

(١) الضريبة أو الجباية هي مبلغ مالي تتقاضاه الدولة من الأشخاص والمؤسسات بهدف تمويل نفقات الدولة. أي بهدف تمويل كل القطاعات التي تصرف عليها الدولة كالتعليم متمثلا في المدارس ورواتب المدرسين والوزارات ورواتب عمالها، وصولا إلى عمال النظافة الحكومية والسياسات الاقتصادية كدعم سلع وقطاعات معينة أو الصرف على البنية التحتية كبناء الطرقات والسدود أو التأمين على البطالة. وفي الأنظمة الديمقراطية يتم تحديد قيمة الضريبة بقوانين يتم المصادقة عليها من قبل ممثلي الشعب. وعادة ما تعهد وظيفة جمع الضرائب وتوزيعها على القطاعات المختلفة إلى وزارة المالية بعد تحديد الميزانيات. هذا كله على مستوى النظرية، أما على مستوى التطبيق، فإن (الضرائب) في البلاد الاستبدادية تصرف لتكريس الاستبداد ◄

عليه وصية الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما ولاّه مصر:

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج»[1].

وعلل عليه السلام ذلك بتعليل يكشف عن النظرة الاستراتيجية الثاقبة والرؤية الاقتصادية الشاملة له (عليه السلام): «لأن ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً»[2].

من هنا تخطئ الحكومات عند ما تركز على الضرائب مرتين، مرة بتحطيمها قدرة المزارعين وصغار المستثمرين على الإنتاج، فيزيد ذلك من نسبة الفقراء أولاً وتعود النتيجة للحكومة سلباً، إذ سوف تتناقص نسبة الضرائب التي ستحصل عليها بشكل مؤكد، ومرة لأن التركيز على الضرائب (يهلك العباد). هذه العبارة البليغة منه (عليه السلام) يمكن أن نجد مصاديقها في الظواهر والحالات التالية:

أ: الاضطرابات الاجتماعية التي قد تتمخض عن ثورات تتصف بالدموية والفوضوية، تحرق الأخضر واليابس وتزيد الوضع

◄وقمع الشعوب ومصادرة الحريات، وأما في البلاد الديمقراطية فإن قسما من الضرائب تصرف لتكريس الاستعمار، كما يذهب قسم آخر منها بطرق غير مباشرة إلى كبار الأغنياء والشركات العملاقة.

(١) نهج البلاغة: ج٣ ص٩٦.

(٢) نهج البلاغة: ج٣ ص٩٦.

الاقتصادي سوءاً على سوئه.[1]

---

(١) توصلت دراسة متعمقة إلى أن الشبان العرب يتوقون للتغيير لكن أحلامهم الاقتصادية تعوقها المجتمعات المتعصبة التي لا تعترف بامكاناتهم الضخمة، بحسب استطلاع مؤسسة جالوب، وكشف الاستطلاع أن سلوك الشبان العرب تغير بشدة عام ٢٠١٠ عما كان عليه في أخر مرة أجري فيها الاستطلاع وكان ذلك عام ٢٠٠٩، وتركز غضبهم من مستوى معيشتهم خاصة توفير سكن بأسعار معقولة، وقال شبان من ٢٠ دولة من بينها دول شهدت أو تشهد اضطرابات مثل البحرين ومصر وليبيا وتونس أنهم شعروا بأنهم غير قادرين على الاندماج اقتصادياً بشكل كامل مع مجتمعاتهم على الرغم من طموحاتهم الكبيرة في قطاع الأعمال، وجاء في تقرير الدراسة "على الرغم من أنهم من أحسن الأجيال صحة في المنطقة وأفضلها تعليماً فإن الشبان العرب مازالوا يواجهون صعوبات في الوصول إلى فرص عمل وفرص في المؤسسات التجارية، وخلص التقرير أيضا أنه خلافاً لما ترصده النظم التقليدية عن نمو الناتج المحلي الإجمالي وما يشير إليه من نمو اقتصادي ثابت في بعض الدول فإن منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا ما زال بها واحد من أعلى معدلات البطالة بين الشبان في العالم.

وتقول جين كيننمونت، المحللة بوحدة الدراسات بمؤسسة إيكونومست: "الواقع الديمغرافي في الخليج وفي سائر دول الشرق الأوسط مقلق، لأن هناك شعوباً شابة وطبقات حاكمة متقدمة في السن، وتضيف: "المشكلة أن معظم هذه الدول ما تزال تعتمد في اقتصادياتها على مبيعات منتجات النفط والغاز، وهذا يعني أنها عاجزة عن توفير فرص عمل تكفي لجميع المواطنين، فلا يمكن لقطاع الطاقة أن يستوعب كل طلبات التوظيف.

وجاء في بيان نائب البنك الدولي لشؤون شمال أفريقيا والشرق الأوسط شمشاد أختر: إن الربيع العربي أظهر أن الناس يريدون أفضل الخدمات العامة ومناخا مدنيا أكثر نظافة وهذا يعني خدمات في البنى التحتية أكثر فعالية وأفضل موالفة.

وحذرت أوساط دولية من تأثير الفقر والفارق الكبير في الثروة بدول الشرق الأوسط، في توليد الحركات المتشددة وتشجيع الشباب على الانخراط فيها، مشيرين في ◄

ب: ظهور الأمراض الناجمة من الضغوط النفسية التي يواجهها المزارعون وصغار المستثمرين، نظراً لإصرار الدولة على الضرائب. وكذلك الأمراض التي تنجم عن عدم قدرتهم عندئذ على توفير مقومات العيش باطمئنان، ثم إن الأمراض تعني مزيداً من الفقر ومزيداً من الحرمان.

ج: تراجع قدرة الفقراء ومحدودي الدخل أمام فرص التعليم والتعلّم، وعلى توفير مستلزمات الحياة الكريمة، وغير ذلك، مما ينعكس بدوره سلباً على الاقتصاد العام للبلاد.

وقد سبق الإمام علي (عليه السلام) بأكثر من ألف و٣٥٠ عاماً، أبرز اقتصاديي التنمية الذين ذهبوا إلى أن (الوصول إلى معدل استثماري يصل إلى ٢٥٪ أو ٣٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، لعدة سنوات متصلة، يقضي على الركود والتخلف ويسبب انطلاق الاقتصاد)، وهذا هو ما يراه البنك الدولي أيضاً من أن تدفق الاستثمارات والأموال يحل المشكلة.[١]

◀هذا السياق إلى حالة اليمن التي نشط فيها تنظيم القاعدة وحركات تمرد مختلفة. والمميز أنه حتى داخل دول الخليج نفسها تبرز فوارق الثروة، ففي السعودية تظهر الفوارق بين العاصمة والمناطق الواقعة على الأطراف. يشار إلى أن الدول الإسلامية هي موطن خُمس سكان الأرض، ولكنها لا تساهم سوى في ستة في المائة من حجم الإنتاج العالمي.

(١) راجع www.siironline.org

ومنهج الإمام علي (عليه السلام) إضافة إلى أسبقيته، فإنه أكثر تطوراً بكثير، إذ لا يحدد الإمام نسبة ٢٥٪ أو ٣٠٪ بل يفتح الباب على مصراعيه للاستثمار في البنية التحتية، لتوفير ليس الحاجات الأساسية فحسب، بل حتى الكمالية أيضاً.

❖ ثالثاً: ترشيد الإنفاق

إن (ترشيد الإنفاق) في حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) يعد من أهم أسس سلامة الاقتصاد وطرق القضاء على الفقر.

ولنا في ذلك عشرات النماذج والأمثلة التي تعكس مدى دقة الإمام (عليه السلام) في وضع قوانين تحول دون التفريط حتى في الدرهم من حقوق الناس.

ومن الواضح أن ذلك لو كان هو المنهج العام لتم توفير المليارات من الأموال التي تبذر اليوم هنا وهناك، والتي تبدو مجرد قطرات وذرات وأموالاً تافهة، إلا أنها تشكل بمجموعها ميزانية ضخمة كان ينبغي أن تصرف في تنشيط اقتصاد البلاد وتكامل البنية الاقتصادية التحتية ورفع العوز عن المعوزين.

ومن الأمثلة:

١ : إطفاء الإمام عليه السلام السراج، وكان من أموال بيت المال، ـ أموال الحكومة بمصطلح اليوم ـ عندما جاءه شخص ليتحدث في أمر

شخصي.

٢: كان عليه السلام يقارب بين السطور في رسائله. بل إنه قد أصدر قراراً عاماً لعماله: «أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم»[١].

٣: من قراراته عليه السلام أيضاً: «واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني»[٢]، وذلك يعني الاختزال في وقت الحاكم وفي وقت العمال والموظفين، والوقت له قيمته الكبرى، ومجموعة هذه الأوقات تشكل ثروة هائلة للبلاد لو صرفت في القضايا الإستراتيجية والأهم والأساس لا في الهوامش وترف القول، لكانت البلاد قد تقدمت أشواطا إلى الأمام.

هذا ما كان عليه الحال على عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) في العقد الثالث من بداية تأسيس الدولة الإسلامية المصادف للقرن السابع للميلاد.

وإذا القينا نظرة خاطفة على محاولات ترشيد الإنفاق في بلادنا الإسلامية التي ينعم معظمها باقتصاديات غنية وثروات ضخمة، فإننا سنجد أول مفارقة تكشف عن أن الترشيد على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يصبّ في صالح المجتمع والأمة، لكنه على يد حكام اليوم يؤدي إلى الإضرار بالصالح العام، فإن الناس هم من يجب

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٠٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٩٩ ب ١٥ ح٢.

أن يدفعوا الثمن وليس الوزير أو الرئيس، كما فعل الإمام (عليه السلام).

ولننظر إلى نوعية واتجاه عمليات ترشيد الإنفاق في دولنا[1]:

فإن ترشيد الإنفاق في دولنا يتجه لتقليص الخدمات التي تقدمها الحكومة للناس في المجالات كافة، لاسيما الصحة والتعليم والماء والكهرباء ووسائل النقل والاتصال، مما يفرض تكاليف إضافية على ميزانية الفرد والأسرة.

إضافة إلى أنه يسبب تعرض البلاد إلى الضغوط الاقتصادية والسياسية والأمنية، بسبب ترشيد الإنفاق الخاطئ، إذ تقوم الحكومات والأنظمة السياسية بتوسيع مشاريعها العسكرية أو الاقتصادية ذات التأثير السلبي والمدمر على اقتصاد الدولة، من قبيل صفقات التسليح والبرامج المخابراتية الواسعة الأبعاد، أو مشاريع الاستثمار غير الناجحة التي تعطى لشركات أجنبية، وذلك كله في مقابل تقليص الإنفاق على الشؤون الحيوية.

ومما يؤكد ذلك كله رفض ومعارضة الطبقة العليا من موظفي الدولة لأي محاولة للترشيد، كونه يكلفهم التنازل عن الكثير من امتيازاتهم ومصالحهم التي اعتادوا عليها، وهذا ما نلاحظه في الكثير من البلاد الإسلامية، لذا إن كان ثمة إصرار لتطبيق الترشيد

(١) بل حتى في الدول الديمقراطية، كما يشاهده المتتبع.

في الإنفاق الحكومي، فإن هذه الطبقة وكبار المسؤولين يدفعون بتكاليف العملية لتقع على كاهل عامة الناس.

❖ رابعا: الضمان الاجتماعي[1]

من القوانين التي شرّعها الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال ما ذكره في عهده لمالك الأشتر:

«ثم الله الله، في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (ذوي العاهات) فإن في هذه الطبقة قانعاً (وهو السائل) ومعتراً (وهو المتعرّض للعطاء بلا سؤال) واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك من غلات (الثمرات) صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر (الطغيان بالنعمة)»[2].

---

(١) وهي اليوم تُعد مؤسسة عمومية ذات طابع اجتماعي وإداري يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والانتساب إليه إجباري. أما خدماته، فهو يقدم لكل الأشخاص العاملين و ذويهم وتشمل التأمينات الاجتماعية: المرض، الولادة، العجز، حوادث العمل، الأمراض المهنية، البطالة. بتقديم أداءات نقدية وعينية. أما مداخيله، فيتحقق من الاشتراكات التي يدفعها كل من صاحب العمل والعمال الأُجراء وغير الأجراء وصندوق الخدمات الاجتماعية. ويعتبر الضمان الاجتماعي مؤسسة (للادخار الإجباري).

(٢) نهج البلاغة: ص٤٣٦.

والضمان الاجتماعي في نظام حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) يشمل:

أ: الأقليات من الأديان الأخرى، فمثلاً أجرى (عليه السلام) راتباً من بيت المال لذلك الشيخ المسيحي الذي فقد فرصة العمل.(١)

ب: كما أن الإسلام أقر على بيت المال دفع أي دَين للعاجز المدين عن تسديد دينه. وهل تجد مثل ذلك في عالم اليوم؟

ج: كما أقر على بيت المال تكفل نفقات أية زوجة لا يقدر

---

(١) يقول المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله في كتابه (السياسة من واقع الاسلام): انظر إلى القصة التالية وتدبر في أبعاد دلالتها، ذكر الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في كتاب (وسائل الشيعة): إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟

فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس..

فقال الإمام عليه السلام في غضب: استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟

ثم جعل الإمام عليه السلام لذاك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت.

وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولة الإسلامية حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقيراً واحداً كان يستغرب، ويعتبره ظاهرة غير طبيعية وغير لائقة بالمجتمع الإسلامي، والنظام الاقتصادي الإسلامي. ثم يجعل له من بيت مال المسلمين مرتباً يرتزق به مع أنه نصراني لا يدين بالإسلام، لكيلا يكون في البلد الإسلامي مظهر واحد للفقر والجوع. ولكي يعرف العالم، والمسلمون أنفسهم أنّ الحكومة الإسلامية تقضي على الفقر وترفع مستوى المعيشة.

زوجها على الإنفاق عليها، أو أي ابن لا يقدر أبوه على الإنفاق عليه أو أي أب لا يقدر ابنه على الإنفاق عليه.

أما في الوقت الحاضر فإن الضمان الاجتماعي يشمل فقط أهل البلاد الغنية بالنفط والغاز، كما أنه ناقص ومشوه، أما البلاد الفقيرة فإن الإنسان هناك يفتقر إلى أبسط مقومات الحياة اليومية فضلاً عن ضمان مستقبل حياته.

وحتى الضمان الموجود حالياً في بعض بلادنا فإنه قانون فضفاض لا يقوى على مواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية، وليس شاملا برعايته جميع أفراد المجتمع، إلا من ارتبط بعمل وظيفي مع الدوائر الرسمية، ويبقى القسم الأكبر من المجتمع وهم من الكسبة والطلاب وكبار السن والنساء الأرامل وغيرهم بلا غطاء أو ضمان يسد حاجاتهم الأساسية.

بل مؤسسات الضمان ـ في كثير من الموارد ـ أصبحت مؤسسات تجارية لا تفكر إلا في أرباحها.

❖ خامساً: التوازن بين الريف والحضر في التخطيط الاقتصادي

إن من أهم أسباب اختلال التوازن الاقتصادي وشيوع الفقر، اهتمام الحكومات بالمدن على حساب القرى والأرياف، مما يسبب نزوح الكفاءات والخبرات من الأرياف للمدن، نتيجة وجود فرص

عمل أكثر، ووجود الراحة والرفاهية وسائر المغريات. ويسبب ذلك كله ضعف الإنتاج الزراعي وزيادة نسبة الفقر في الأرياف، وتخلف الأرياف علمياً وثقافياً أيضاً، مما ينعكس بدوره على الاقتصاد.

كان الإمام علي (عليه السلام) أول داعية لإيجاد التوازن بين القرى والأرياف وبين المدن، إذ يقول في عهده لمالك الأشتر:

«فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه»[1].

أي إن الحقوق الاقتصادية التي للأقصى، وهم أهل الأرياف والبوادي، هي تماماً مماثلة للحقوق التي للأدنى، وهم الحضر، «وكل قد استرعيت حقه»[2]، فالحاكم مسؤول عن كلا الحقين، ولا يجوز له أن يفرط بأي منهما.

وقال (عليه السلام): «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم»[3]، فالعناية بالريف هي سبب أساسي في الحفاظ على اقتصاد سليم ومتطور.

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٣٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٣٨.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٣٦.

❖ سادساً: التكافل الاجتماعي[1]

أرسى الإمام علي (عليه السلام) دعائم التكافل الاجتماعي، حيث إن الإسلام قد وضع أسس التكافل الاجتماعي في أبعاد عديدة، فبات ذلك من أهم عوامل مكافحة الفقر، إضافة إلى كونه عامل استقرار اجتماعي.

ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع»[2].

ـ وقال ﷺ: «وليس بمؤمن من بات شبعاناً وجاره جائع»[3].

---

(١) يقصد بالتكافل الاجتماعي: أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كل فرد فيه أن عليه واجبات إزاء الآخرين كما له حقوق، ويكون له شعور بالمسؤولية إزاء الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم.

التكافل الاجتماعي في الإسلام يتحقق في المجتمع الذي يطبق الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً وسلوكاً وفقاً لما جاء به الكتاب والسنة الشريفة، وكما جاء في سيرة الرسول الأكرم وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما)، ذلك أن الإسلام أهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصف بها الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٦٨.

(٣) مكارم الأخلاق، للشيخ الطوسي: ص١٣٧.

يقول الإمام الشيرازي رحمه الله في (الفقه: الاقتصاد) وهو المجلد ١٠٧ من موسوعة (الفقه) ص٢٩٨:

(هذا الحديث إما أخلاقي يراد به الإيمان الكامل، أو فقهي يراد به مع الضرورة، كما في عام المخمصة حيث له أن يأخذ قدر حاجته الضرورية مع البدل، وإن لم يستطع فالبدل والضمان على بيت المال).

ويضيف سماحة الإمام الراحل قدس سره: (إذا اقترض فإنه مسؤول عن التسديد إلى سنة، وإن لم يستطع فعلى بيت المال).

ـ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1].

ومن أبرز مصاديق البر[2]: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[3].

ـ أقر الإسلام قانون تكفل الزوج لنفقات الزوجة.

ـ قرر تكفل الأب لنفقات أولاده ماداموا محتاجين.

ـ قرر تكفل الابن لنفقات والديه ما داموا محتاجين.

كل ذلك بمعنى محاصرة الفقر من كافة أطرافه، فإن الزوجات

---

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) كما حض الإسلام أشد الحض والحث على (المواساة) و(الإيثار) في المئات من الآيات والروايات. يراجع في ذلك (فقه التعاون) للمؤلف.

(٣) سورة البلد: ١٤ـ١٦.

والآباء والأبناء يشكلون أكثرية المجتمع.

وكان ذلك كله مطبّقاً في حكومة الإمام علي (عليه السلام).[1]

❖ سابعاً: الالتزام بمعايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين

وضع الإمام علي (عليه السلام) أُسساً وضوابط دقيقة هامة لكافة من يدير الشأن الاقتصادي في البلاد: من حاكم ووالٍ ـ وذلك يعني أيضاً كل من له صلاحيات اتخاذ قرارات مصيرية في شأن اقتصاد الناس مثل: رئيس البنك المركزي في يومنا هذا ـ.

ومن الضوابط:

١: أن لا يكون بخيلاً، ومن الواضح أن البخيل يميل إلى ملأ خزائن الدولة ورفع نسبة (الاحتياطي)[2]، حتى وإن بررها بفلسفة اقتصادية[3]، بل ويحاول عرقلة أية طريقة تهدف إلى بذل الأموال

---

(١) ولمن يريد المزيد، مراجعة كتاب (أمير المؤمنين عليه السلام شمس في أفق البشرية) للإمام الشيرازي الراحل قدس سره، وكذلك (الفقه: الاقتصاد)، للامام الشيرازي قدس سره، وكتاب (السياسة من واقع الإسلام) للمرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله).

(٢) اسم منسوب إلى (احتياط). وهو ما يُدَّخر تحسُّباً للطوارئ، أو ما يكون تحت الطّلب عند الحاجة (الاحتياطي الدولي)، (مال احتياطي).

(٣) فإن الاحتياطي الحقيقي هو في عمارة الأرض وتشييد المصانع والمعامل، وارتفاع مستوى التعليم وكسب ثقة الناس في الحكومة وما إلى ذلك، أما النقد فإنه يكتفى منه بالأقل الأقل اللازم من الاكتناز، بل لو كانت الدولة صالحة فإن (النقد) بأيدي ◄

للناس، فهو يعادي التأمين الصحي، ويعارض زيادة الإنفاق على التعليم، بل و يسعى دوماً لتقليص نسبة ميزانية كافة الأمور الإنسانية لصالح زيادة ميزانية التسلّح!

والولايات المتحدة الأميركية تصلح مثالاً، والكثير من أنظمة الدول الإسلامية نموذجاً.[1]

◄الناس سيكون هو الخلفية والسند من غير حاجة إلى (الكنز) أبدا.

(١) تشير المعلومات الصادرة عن تقرير لجنة الأبحاث في الكونغرس الأميركي أن حجم إنفاق دول الخليج على التسلح في العام المنصرم ٢٠١٠ قد تجاوز ١٠٥ مليارات دولار أميركي بزيادة تبلغ ١١ مليار دولار عن العام الذي سبقه ٢٠٠٩، حيث اعتبرت المملكة العربية السعودية من أكبر المستوردين للأسلحة بين الدول العربية بشكل عام ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص؛ إذ تجاوزت قيمة مشترياتها من الأسلحة مبلغ ٤٠ مليار دولاراً.

ووفقاً لتقرير معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي احتلت الإمارات المركز الثالث في قائمة أكبر مستوردي السلاح في العالم منذ عامين إذ ابتاعت في عام ٢٠٠٨ ما نسبته ٦٪ من مبيعات الأسلحة في العالم، فيما يتوقع أن تنفق الدولتان ١٢٣ مليار دولار على تسلحهما في الأعوام الثلاثة القادمة بحسب تقرير لصحيفة الفيننشال تايمز البريطانية.

ولا يزال الشرق الأوسط بشكل عام ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص تشكل أفضل سوق جذب لمصدري الصناعات الدفاعية في العالم برغم استمرار تأثير الأزمة المالية العالمية على خطط تحديث وبرامج تسلح جيوش دول كبرى كالولايات المتحدة وبريطانيا؛ إذ شهد العام ٢٠١٠ اهتماما كبيرا ومتزايدا من دول عربية عدة؛ كالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت والمغرب وليبيا باقتناء أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا المتطورة، بالإضافة إلى تحديث برامجها التدريبية العسكرية.

٢ : أن لا يفتقر إلى الخبرة وعلى أرقى المستويات.

٣ : ولا يكون جافياً.

٤ : ولا يكون حائفاً لأطراف داخلية وخارجية، أي يكون ممائلاً ومتعاطفاً مع هذه الشركة أو تلك المؤسسة أو الحزب أو حتى الشخص.

٥ : ولا يكون مرتشياً[1]، وواضح أن المرتشي يحابي الأغنياء على حساب الفقراء، فبدل أن يعطي مناقصات الدولة ـ مثلاً ـ للشركة أو للجهة التي تقدم أفضل الإنتاج وبأرخص الأسعار، يعطي المناقصة للجهة التي تقدم له مالاً أكثر أو دعماً سياسياً أو ما أشبه وإن كانت غير الأفضل، مما يعني ضربة مزدوجة للاقتصاد وللفقراء.

يقول الإمام (عليه السلام): «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون في أموالهم نهمته. ولا الجاهل فيضلهم بجهله. ولا الجافي فيقطعهم بجفائه. ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم. ولا المرتشي في الحكم»[2].

---

(١) الرشوة نوع من الفساد، يُطلق على دفع شخص أو مؤسسة مالاً أو خدمة من أجل الاستفادة من حق ليس له، أو أن يعفي نفسه من واجب عليه.

(٢) نهج البلاغة : ج٢ ص١٤.

❖ ثامناً: تكريس مبدأ المساءلة والمحاسبة

لقد كرّس الإمام علي (عليه السلام) مبدأ المساءلة والمحاسبة والشفافية، بل وفتح باب عزل الحاكم فيما إذا خرج عن النهج الاقتصادي أو السياسي السليم الذي يعطي الناس حقوقهم.

قال (عليه السلام):

«ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والأمانة عليهم»[1].

ويعد هذا من أهم الفروق بين الإسلام وبين الأنظمة المستبدة، فيما يتعلق بالمراقبة عن بُعد، ففي الإسلام وعلى ضوء منهج الإمام علي (عليه السلام) فإن العيون (الجواسيس) يكونون على الحكام والمدراء ومسؤولي الاقتصاد، لصالح الناس.

أما في الأنظمة المستبدة فعلى العكس تماما، فإن العيون والجواسيس توضع على الناس لعد أنفاسهم لصالح الحكام والولاة والمسؤولين!

ولنقرأ كامل القانون العلوي (عليه السلام) كما عهده للأشتر:

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ ص٩٦.

الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة».

وههنا كلام طويل في التعليق على فقرات هذا الحديث العظيم نتركه لمجال آخر.

❖ تاسعاً: تنشيط حركة الأموال وإلغاء التكنيز

كلما تحركت رؤوس الأموال أكثر، شهد الاقتصاد نشاطاً وحيوية أكثر، وتوفرت السيولة بيد الناس، وجرت التعاملات بسهولة أكثر، وانخفض التضخم.

أما اكتناز الأموال[1] فهو يجمدها ويمنع الثروة من الحركة أولاً، ويقلل أو يبطئ من دورات رأس المال ثانياً، ولذلك حاربه الإسلام بشدة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

---

(١) الاكتناز hoarding هو جمع المال وتكديسه والاحتفاظ بالمتراكم منه نقداً سائلاً مدة زمنية غالباً ما تكون طويلة، والكنز في اللغة هو المال المدفون. وبذلك يظل المال المكتنز مجمداً بعيداً عن التداول، ومن دون فائدة مباشرة أو نفع اقتصادي.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

وليست حرمة الاكتناز منحصرة في الذهب والفضة، بل هما من أبرز الأمثلة والمصاديق على ذلك، والدول الآن تقوم بهذه العملية الخطيرة وهي تكديس الأموال باسم (الاحتياطي) حيث تتجمد المليارات بل مئات المليارات، وهنا يكون الإشكال مضاعفا، كون هذه الأموال الضخمة تكون بيد بيروقراطية إدارية[1].

بينما نجد في المنهج الاقتصادي للإمام علي (عليه السلام): أن الأموال التي تجبى من الضرائب أو غيرها، يجب أن تعطى للناس فوراً، ومن هنا لم يكن الإمام علي (عليه السلام) يستبقي أموال بيت المال حتى لليلة واحدة، بل كان يوزعها في نفس اليوم، وفي المساء كان يكنس بيت المال، للدلالة على عدم بقاء شيء.

هذا النهج يؤدي إلى أن تصب كل هذه الأموال في جيوب عامة

---

(١) البيروقراطية أو (الدواوينية) هي مفهوم يستخدم في علم الاجتماع والعلوم السياسية يشير إلى تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة. وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية والعلاقات الشخصية. وهنالك العديد من الأمثلة على البيروقراطية المستخدمة يومياً: الحكومات، القوات المسلحة، الشركات، المستشفيات، المحاكم، والمدارس. يعود أصل كلمة البيرقراطية إلى (بيرو) (bureau)، أي مكتب، المستخدمة في بداية القرن الثامن عشر ليس للتعبير عن كلمة مكتب للكتابة فقط بل للتعبير عن الشركة، وأماكن العمل. وكلمة (قراطية) وهي مشتقه من الأصل الإغريقي (كراتُس) (κράτος) ومعناها السلطة والكلمة في مجموعها تعني قوة المكتب أو سلطة المكتب.

الناس ومنهم الفقراء، مما يحد من نسبة الفقر بشكل كبير في المجتمع أولاً، ثم يزيد من سرعة حركة رأس المال في عجلة الاقتصاد، إضافة إلى تأثيره الإيجابي الآخر على وضع الدولة والناس، إذ أن إعطاء الأموال كلها للناس يوفر لهم فرصاً أكبر لاستثمار الأرض، بالبناء والزراعة والرعي وتشييد المصانع وإحياء المعادن وسائر الثروات مما يعني مردوداً مالياً أكبر للناس، وبالنتيجة وارداً أكبر من الضرائب ـ على فرض صحتها ـ للدولة التي تصب مرة أخرى في جيوب الناس.

وهكذا نجد أن صب (الاحتياطي) من العملة الصعبة أو الذهب في أيدي الناس يوفر إمكانية هائلة مباشرة وغير مباشرة للقضاء على الفقر، ويزيد من رصيد وقوة الدولة والشعب، لأنه يرفع من الناتج المحلي الإجمالي بشكل كبير، وهذا هو (الاحتياطي الحقيقي الفاعل) وهذا هو الذي يشكل القاعدة الاقتصادية الأكبر لدعم العملة.

ويرى بعض الباحثين أن ضرورة تنشيط حركة رأس المال وتسريع دورانه، كانت من الأسباب الرئيسية وراء القرار الذي اتخذه رسول الله محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله)، عندما حول نظام تبادل البضائع، إلى النظام النقدي وجعل المقياس؛ الذهب والفضة، كما أنه ثبّت قيمة العملة أيضاً، فقرر: (مثقال الذهب =

دينار)، و (مائة دينار= جمل)[1].

وواضح أن النظام النقدي[2] ووجود واسطة سهلة الحمل والنقل والتداول، وصالحة لأن تتحول إلى كل بضاعة وبالعكس، أسرع وأكثر جدوائية لحركة الأموال والقضاء على التضخم، من طريقة تبادل البضاعة بالبضاعة، مما يبقي حاجات كثيرة معطلة أو مؤجلة، كما قد يتسبب في فساد بضائع كثيرة خلال عملية التعامل.

❖ عاشراً: تقليص ساعات العمل

لقد دعا الإسلام إلى تقليص ساعات العمل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهذا يعني توفر مساحة أكبر للفقراء للمشاركة في الإنتاج لانتشال أنفسهم من الفقر، وقد سلكت فرنسا أخيراً هذا المسلك. فقد قالت وكالة الإحصاء القومي في فرنسا: إن (قانون العمل) الذي قلص ساعات العمل من ٣٩ ساعة بالأسبوع إلى ٣٥

---

(١) لكن هذه الدعوى بحاجة إلى تحقيق أكثر من حيث (صغرى القضية).

(٢) جاءت اتفاقية مؤتمر بريتون وودز ليتقرر فيها النظام الجديد للنقد الدولي، فكان لابد من مؤسسة عالمية، تكون مسؤولة عن الإشراف على تنفيذ اتفاقية بريتون وودز، كما تكون مسؤولة عن انضباط المعاملات النقدية والمالية، ووضع قاعدة ثابتة تنضبط بها أسعار صرف العملات، كما أن لهذه المؤسسة حق المراقبة على حسن سير نظام النقد الدولي الجديد، لكن الذي حدث مع مرور الوقت هو اختلال بعض دعائم هذه الاتفاقية ووقوع العالم في أزمات نقدية أخرى.

ساعة أتاح ٣٥٠ ألف فرصة عمل منذ بدأ تطبيقه عام ١٩٩٨ حتى ٢٠٠٢، علماً بأن توقعاتهم كانت توفير ٦٠٠ ألف فرصة عمل، أما البطالة فقد تراجعت إلى نسبة ١٠٪ حسب وكالة (الأسوشيتد برس)، لكن البرلمان الفرنسي الذي يسيطر عليه المحافظون عدل القانون بعد ذلك. والنقص في قانون العمل الفرنسي أنه لم يقم بعلاج المشكلة بأطرافها أي أنها كانت مفردة واحدة.[1]

والإمام علي (عليه السلام) دعا إلى تقليص ساعات العمل عبر طرق عديدة:

١: التحريض على الخروج مبكراً من السوق.

٢: الالتزام بالصلوات في أوقاتها مما يعني الخروج من السوق مرتين أو أكثر يومياً.

٣: التحريض على تخصيص قسم جيد من الوقت للعبادة وللعائلة وللأصدقاء وللنزهة، ففي الحديث:

«ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً أن يكون له أربع ساعات من النهار، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه...»[2].

(١) CNN العربي بتاريخ ٢٥\٦\٢٠٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١ ص١٣١.

❖ الحادي عشر: المرونة في الضرائب

تُعد الضرائب المجحفة من أهم عوامل الفقر، وقد ذكرنا في بند آخر، أن من أسباب الفقر فرض الضرائب على الاستهلاك، لا على الأرباح، والإسلام قد فرض الضرائب على الأرباح كما في الخمس والزكاة والخراج لا على الاستهلاك كما هو واضح.

وهنا نقول:

إن من الحلول ـ إضافةً إلى ضرورة أن تكون الضرائب على الأرباح لا على الاستهلاك ـ أن يتسم النظام الضرائبي بالمرونة، إذ يجب أن تنخفض نسبة الضرائب كلما انخفضت نسبة الأرباح، وهو ما ينسجم مع العقل، وفي ذلك نطالع نص القانون الإنساني الذي أصدره أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال:

«فإن شكوا» أي أهل الخراج الذين تأخذ منهم الضريبة.

«ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غَرَق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم»[1].

---

(١) (ثقلاً): مثل آفة ضربت الزراعة أو أمراض أثقلتهم عن الإنتاج الوفير، (علة): كعلة سماوية أضرت بالزراعة، (انقطاع شرب): أي الماء الذي يسقى به الزرع، (انقطاع بالة): أي ما يبل الأرض من ندى ومطر، (إحالة أرض): أي تحويلها البذور إلى بذور فاسدة بالتعفن.

ولأن الإمام (عليه السلام) يعرف بثاقب نظره أن الولاة والحكومات يصعب عليهم ـ بل يكاد يمتنعون ـ عن تخفيف الضرائب، أضاف:

«ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم[1]، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر»[2].

❖ الثاني عشر: توفير الحريات

إن الأصل في الإسلام الحرية، فقد عدّ الله تعالى من أهم أهداف بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله): ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) الاجمام: الترفيه والإراحة.

(٢) نهج البلاغة: عهده عليه السلام للأشتر.

﴿وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [1].

وقال الإمام علي (عليه السلام): «أيها الناس، إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار»[2].

وقال (عليه السلام): «من توفيق الحر اكتساب المال من حله»[3].

وقال عليه السلام: «الحرية منزهة عن الغل والمكر»[4].

وقال عليه السلام أيضاً: «من أوحش الناس تبرأ من الحرية»[5].

ولذا فإن الحرية هي العامل الأول في النمو والازدهار الاقتصادي، ولذلك نجد الإمام الشيرازي الراحل رحمه الله أفتى بحرمة كل ما يتسبب في خفض الإنتاجية.[6]

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) الكافي: ج٨ ص٦٩.

(٣) غرر الحكم: ص٣٥٤.

(٤) غرر الحكم: ص٢٩١.

(٥) غرر الحكم: ص٢٠٤.

(٦) راجع (قراءات في فكر الإمام الشيرازي) على موقع (معهد الامام الشيرازي للدراسات) حيث يقول: إغراق السوق يعني تصدير خدمات أو سلع إلى السوق في دولة أخرى وبسعر أقل من التكلفة أو سعر المماثل في الدولة المستوردة. ويمكن أن يؤدي الإغراق إلى تسريح العمال والموظفين وإقفال المصانع وإفلاسها وإنخفاض في الإنتاج واضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة، لذلك يعتبر الإغراق من نشاطات المنافسة غير العادلة والمخالفة للإنصاف، ولذلك يواجه معارضة حكومة البلد المستورد وشركاته.

يقول الإمام الشيرازي الراحل رحمه الله في كتابه (فقه المرور) ص١٧٦ـ ١٧٧: ◄

وقال ﷺ في (الفقه العولمة):

(يحرم أي قانون أو تخطيط يسبب تحجيم وتقليل الإنتاج زراعياً كان أم صناعياً، ويحرم تخطيط وتنفيذ ما يضر بالإنسان أو يخدش كرامته ولو بتقليل دخله اليومي)[1].

كما أن الحرية تُعد العامل الأساسي في تفجر الطاقات وظهور المواهب والإبداعات، مما يعني فرصة أكبر للابتكار، ومساحة أوسع للعمل التكنولوجي، زراعياً وصناعياً، وبالنتيجة تكون الفرصة أكبر لمكافحة الفقر بشكل أقوى وأسرع.

ومن يريد التفصيل في هذا الموضوع فليراجع (الفقه: الحريات) و(الفقه: الاقتصاد) و(الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام)، للإمام الشيرازي الراحل (قدس سره) حيث برهن

◄ التجارة حرة باستثناء تجارة المحرمات وتجارة المواد الضارة كالمخدرات، وليس شيء في بلاد الإسلام يسمى بالتهريب وما أشبه ذلك، نعم هناك مسألة «لا ضرر» حيث يلزم على التاجر أن لا يستورد ولا يصدر ما يوجب ضرر المسلمين، أو ضرر غير المسلمين الساكنين في بلاد الإسلام، كما أنه لا يحق للإنسان أن يستورد ما فيه ضرر على المسلمين كإيجابه تعطيل العاملين. ولا يحق أيضا لإنسان أن يصدّر ما يوجب ضرراً على المسلمين أو غير المسلمين كإيجابه ارتفاع الأسعار الضار أو ما أشبه ذلك.هذا وإن الجمارك والمكوس حرام قطعاً، وأخذ المال من الناس بالباطل تحت أي اسم كان موجب للضمان، و يعزر الفاعل بالعقوبة الإسلامية مع العلم و العمد.

(١) الفقه العولمة، للامام الشيرازي: ص ٢١٦.

أن الحريات الاقتصادية في عالم اليوم لا تصل إلى ١٠٪ من الحريات الاقتصادية التي منحها الإسلام.[1]

---

(١) يقول المرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي ثَنَتَئِ : الحرية في الإسلام حق قبل كل شيء، والذي يظهر للمتتبع أن الحريات الممنوحة في الإسلام مائة في المائة، بينما الحريات الممنوحة في العالم المسمّى بـ (العالم الحر) عشرة في المائة أو أقل منه. فقد أعطى الإسلام للإنسان حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل، لكن في الإطار المعقول الصحيح، من عدم الإضرار بالآخرين وعدم الإضرار البالغ بالنفس حتى أن الأكل والشرب المضرين ضرراً بالغاً لا يجوزان لأنهما إضرار بالنفس، والسباب بالقول، والضرب ونحوهما غير جائزة لأنها إضرار بالآخرين، والاستفادة من مواهب الحياة أكثر من القدر الصحيح لا يجوز، لأنه اضرار بالأجيال القادمة.

فالحرية ـ إذاً ـ عامة لجميع الناس حتى الكفار، في مختلف أنواع الحقول. منها: الحرية الفكرية، أي حرية البحث والمناقشة في البحوث العلمية والبحوث الدينية. ومنها الحرية الاقتصادية، أي حرية الاكتساب بجميع أنحائها. ومنها الحرية الدينية، أي التسامح نحو الأديان الأخرى. ومنها: الحرية السياسية التي تتناول العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإن الحاكم يجب أن يكون باختيار الأمة وممن يتوفر فيه رضى الله سبحانه وتعالى وسائر الشروط الإسلامية وهي كلها شروط يؤكد عليها العقل كأن يكون عالماً بالغاً عادلاً، إلى غير ذلك مما ذكره الفقهاء في أول مباحث التقليد. وقد ذكرنا جملة من الروايات المرتبطة باختيار الحاكم في كتاب: (الحكم في الإسلام) وفي غيره من بعض كتبنا الإسلامية وهناك مائة نموذج للحريات الإسلامية نذكر عناوينها هنا فمن الحريات الإسلامية:

١ : حرية العبادة في أي مكان، صلاةً وصوماً وطهارة وذكراً لله، وقراءة القرآن، ودعاءً لله. أما الصلاة ففيها الحرية المطلقة، وقد قال النبي ﷺ : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). ٢ : والحرية في البيع. ٣: والحرية في الشراء. ٤ : والحرية في الرهن. ٥ : والحرية في الضمان. ٦ : والحرية في اختراع أي عقد جديد لم يمنع عنه ◄

◀الشارع. ٧: والحرية في الكفالة. ٨: والحرية في الصلح. ٩: والحرية في التأمين. ١٠: والحرية في الشركة. ١١: والحرية في المضاربة. ١٢: والحرية في المزارعة. ١٣: والحرية في المساقاة. ١٤: والحرية في حيازة الأرض. ١٥: والحرية في حيازة المباحاة. ١٦: والحرية في الوديعة. ١٧: والحرية في العارية. ١٨: والحرية في الإجارة. ١٩: والحرية في الوكالة. ٢٠: والحرية في الوقف. ٢١: والحرية في الصدقة. ٢٢: والحرية في العطية. ٢٣: والحرية في الهبة. ٢٤: والحرية في السكنى. ٢٥: والحرية في العمران. ٢٦: والحرية في السبق. ٢٧: والحرية في الرماية. ٢٨: والحرية في الوصية. ٢٩: والحرية في النكاح للرجل وللمرأة دواماً وانقطاعاً. ٣٠: والحرية في الطلاق. ٣١: والحرية في الخلع. ٣٢: والحرية في الرضاع. ٣٣: والحرية في السفر. ٣٤: والحرية في الإقامة. ٣٥: والحرية في فتح المحل. ٣٦: والحرية في الإقرار. ٣٧: والحرية في الجعالة. ٣٨: والحرية في الطباعة. ٣٩: والحرية في قدر المهر وسائر الخصوصيات المرتبطة بالنكاح. ٤٠: والحرية في امتهان أية مهنة شاءها الإنسان. ٤١: والحرية في الثقافة بأن يطلب العلم النافع له وللبشر وللحيوان والنبات وغير ذلك فينتهي إلى أن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً أو خبير سياسة أو اقتصاد أو غير ذلك، أو أن يكون فقيهاً أو خطيباً أو مؤلفاً أو نحو ذلك. ٤٢: الحرية في العهد. ٤٣: الحرية في اليمين. ٤٤: الحرية في النذر. ٤٥: الحرية في تناول الأطعمة المحللة بأي كيفية شاء. ٤٦: الحرية في إحياء الموات. ٤٧: الحرية في الأخذ بالشفعة. ٤٨: الحرية في الإرث بأن يكون الإرث للورثة على ما بيّنه الرسول ﷺ وحسب الموازين الإسلامية، فقد قال: (من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته). والمراد بالضياع العائلة التي لا كفيل لها، بينما القوانين الوضعية تجعل جملة من الإرث ـ قد تصل أحياناً إلى تسعين في المائة ـ من نصيب الحكومة كما هو معروف. ٤٩: الحرية في المراجعة إلى أي قاض شرعي. ٥٠: الحرية في الشهادة والاستشهاد. ٥١: الحرية في اختيار الدية، أو القصاص، أو العفو في الموارد الخاصة. ٥٢: الحرية في الزراعة. ٥٣: الحرية في الصناعة. ٥٤: الحرية في العمارة. ٥٥: الحرية في كون الإنسان بدون جنسية ولا هوية وما أشبه من الرسوم المتعارفة الآن. ٥٦: الحرية في إصدار الجريدة. ٥٧: الحرية في إصدار المجلة. ٥٨: الحرية في امتلاك محطة الإذاعة. ٥٩: الحرية في امتلاك محطة التلفزيون للبث. ◀

◀ ٦٠: الحرية في العمل. ٦١: الحرية في إبداء الرأي. ٦٢: الحرية في التجمع. ٦٣: الحريـة في تكـوين النقابـة. ٦٤: الحريـة في إنـشاء الجمعيـات. ٦٥: الحريـة في إنـشاء المنظمـة. ٦٦: الحريـة في إنـشاء الحـزب. ٦٧: الحريـة في الانتخـاب. ٦٨: الحريـة في الإمارة. ٦٩: الحرية في الولاية. ٧٠: الحرية في السفارة. ٧١: الحرية في انتخاب أية وظيفة من وظائف الدولة. ٧٢: الحرية من جهة عدم جواز رقابة الحكومة على الناس بأجهزة الإنصات والتليفون أو ما أشبه من أساليب المباحث والبوليس السري. ٧٣: الحرية في إنجاب أي عدد من الأولاد. ٧٤: والحرية في عدد الزوجات إلى أربع على نحو الدوام، أو أكثر على نحو الانقطاع. ٧٥: والحرية في العقيدة، قال سبحانه: ﴿لا إكراه في الدين﴾. ٧٦: والحرية في كيفية الأكل والشرب واللباس وما أشبه. ٧٧: والحرية في الذهاب والرجوع من البيت وإلى البيت ليلاً أو نهاراً في قبال أن بعض البلاد كموسكو ونحوها من بلاد الشيوعيين لا حرية للإنسان فيها أن يسافر إلا بمقدار خاص، وكذلك لا حرية في أيام منع التجول في سائر البلاد. ٧٨: والحرية في بناء المساجد. ٧٩: والحرية في بناء المدارس. ٨٠: والحرية في بناء الحسينيات. ٨١: والحرية في بناء المستشفيات. ٨٢: والحرية في بناء المستوصفات. ٨٣: والحرية في بناء دور النشر. ٨٤: والحرية في بناء دور الثقافة. ٨٥: والحرية في بناء الخانات والفنادق. ٨٦: والحرية في بناء دور الولادة. ٨٧: والحرية في بناء دور العجزة. ٨٨: والحرية في فتح البنوك. ٨٩: والحرية في الدخول في اتحاد الطلبة. ٩٠: كما أن للإنسان الحرية في الخروج من أية مؤسسة أو وظيفة أو ما أشبه إلا إذا ربط نفسه بشرط ونحوه. ٩١: الحرية في اختيار نوع أثاث الدكان والمنزل وما أشبه. ٩٢: الحرية في انتقاء أي نوع من أنواع السيارات ونحوها. ٩٣: والحرية في كيفية المعاملة. ٩٤: والحرية في الإقراض والاقتراض. ٩٥: والحرية في إعطاء التولية في الوقف ونحوه لأي أحد. ٩٦ ـ والحرية في جعل الإسم لأي شخص، أو لأي محل مرتبط به، فلا يرتبط جعل الإسم بإجازة الدولة كما هو المتعارف في كثير من البلاد الآن. ٩٧: الحرية في فتح حقول الدواجن. ٩٨: والحرية في تقليد أي مرجع شاء جامع للشرائط. ٩٩: والحرية في انتخاب أي خطيب أراد. ١٠٠: والحرية في تسجيل العقد ونحوه عند أي عالم في مقابل عدم الحرية في ذلك بالنسبة إلى غالب الدول حيث يقيدون الإنسان بتسجيل عقده ◀

❖ الثالث عشر: على الدولة.. الإشراف لا الإنتاج

يجب على الدولة أن تضطلع بمهمة حفظ النظام، ومراعاة العدل، والتخطيط لازدهار الاقتصاد.

وفي نفس الوقت عليها أن تتجنب أي دور اقتصادي يُعد بديلاً عن دور الناس؛ شركات و أفراداً.

وعلى ذلك فإن (التأميم)[1] الذي يحصر ممتلكات البلد بيد الحكومة، يُعد خطأً فاحشاً، كما أن تدخل الدولة في الإنتاج المباشر هو خطأ آخر، علماً أن فكرة (التأميم) نشأت لتكون وسيلة تخلص الشعوب من سيطرة الاستعمار القديم على ثرواتها المعدنية والزراعية وغيرها، لاسيما النفط، لكن نجد الأمر انقلب على الشعوب ليكون نقمة بدلاً من أن يكون نعمة. إذ الواجب أن تكون (ملكية) كل ثروة عائدة للناس، وأما إدارة بعض الثروات الكبرى التي يعجز عنها آحاد الناس، فالواجب أن تكون بيد ممثلين عن

◀ونحوه عند دائرة خاصة. إلى غيرها من الحريات الكثيرة الموجودة في الإسلام. راجع كتاب الصياغة الجديدة على موقع الامام الشيرازي على الانترنت.

(١) التأميم هو نقل ملكية قطاع معين إلى ملكية الدولة أي تحويله إلى القطاع العام. وهي مرحلة تمر بها ما تسمى بالدولة المستقلة عادة في إطار عملية نقل الملكية وإرساء قواعد السيادة بحيث تقوم الدولة بإرجاع ملكية ما يراد تأميمه إلى نفسها. كما أنها عملية تستمر كثيراً لإرجاع المباحات الاصلية (كالغابات والمعادن) للدولة.

الناس، ينتخبونهم، لا بيد الحكومة.[1]

كل ذلك أدى إلى تزايد الفقر، وقد قال الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر:

«ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات و أوص بهم خيراً.. وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك..».

وقال (عليه السلام): «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله»[2].

فمسؤولية الحاكم الرعاية وتوفير الأمن الاقتصادي والعناية بسلامة مسيرة عملية الإنتاج، لا التدخل المباشر في إنتاج السلع أو الخدمات.

ولهذا البحث كلام طويل جداً، يمكن متابعته في (الفقه: السياسة)، و(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الحقوق)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، للإمام الشيرازي الراحل قدس سره.

❖ الرابع عشر: محاربة كافة عوامل الفقر

وهذا هو ما سنفرد له الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

---

(١) يراجع تفصيل ذلك، في كتاب (أطر وضوابط العلاقة بين الدولة والشعب) للمؤلف، والفقه الحقوق، والفقه الدولة الاسلامية، والفقه الاقتصاد، وغيرها.

(٢) نهج البلاغة ص٤٣٦.

الفصل الثاني

الحلول الغيبية والأخلاقية

وصايا تقلع الفقر من جذوره

للإمام علي (عليه الصلاة والسلام) وصايا عامة لو عمل بها الناس ـ إضافة لما سبق وسيأتي ـ لاقتلع الفقر من جذوره، وهي تتوزع بين أخلاقية .. واقتصادية .. واجتماعية.

وهذه بعضها:

أ: التقوى

«يا معشر التجار اتقوا الله»[1] ..

ومن الواضح أن الخوف من الله، يردع الإنسان عن امتصاص دماء الفقراء عبر الغش والخداع والاحتكار ورفع الأسعار، مما ينتج تقلص مساحة الفقر.

ب: السهولة

«وتبركوا بالسهولة»[2] ..

فإن أي روتين إداري أو تعقيد أو بيروقراطية، يعرقل حركة رؤوس الأموال، ويضاعف التكاليف، ويستهلك قسماً كبيراً من

---

(١) الكافي: ج٥ ص١٥١.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥١.

الأوقات، ويضخم الجهاز الإداري ويزيد عدد الموظفين، ويضغط بشدة على الأعصاب والصحة، مما يسبب بدوره الأمراض التي تضغط بشدة على الفقراء.

فأي بيع أو شراء أو تعاقد يجب أن يتم بمنتهى السهولة وبدون روتين وتعقيد، ولذا نجد أن قسماً من حكومات عالم اليوم بدأت تنحو منحى تخفيف الروتين الإداري في تسجيل الشركات وفي كافة المعاملات، وفي الإسلام: لا حاجة لذلك أبداً!!

ج: كن ترابيا

«واقتربوا من المبتاعين»[1]..

فإن كثرة الوسائط، تسبب الغلاء والتضخم، لأن الواسطة يعيش على رفع سقف الأسعار ليربح ـ ربحاً مضاعفاً أحياناً ـ فكلما ألغيت الوسائط كلما رخصت الأسعار وانخفضت نسبة الفقر..

وعلى الدولة أن تخطط لإلغاء الوسائط لأنها إضافة إلى ذلك تزيد من احتمالات التلاعب بالأسواق نظراً للقدرة المتمركزة الكبيرة للشركات الوسيطة.

---

(١) الكافي: ج٥ ص١٥١.

د: كن صادقا

«وجانبوا الكذب»[1]..

فإن الكذب في المعاملات يعني: مزيداً من الضغط على الفقراء! لأن التاجر أو الشركة تكذب لكي تبيع المنتج بسعر أغلى أو تبيع الرديء بعنوان أنه جيد! أو ما أشبه ذلك.

هـ: الإنصاف

«وأنصفوا المظلومين»[2]..

ففي أية معاملة يجب إنصاف المظلوم قبل أن يرفع المظلوم شكوى، ثم لو رفع المظلوم ـ شخصاً كان أو شركة أو جهة ـ شكوى، كان على الظالم أن يتراجع فوراً، وإلا فإن ذلك يعني إضافة إلى كونه انتهاكاً لحقوق الإنسان، مزيداً من الضغط على الفقراء.. لأن المحامين سيثرون على حساب الطرفين[3].. ولأن

---

(١) الكافي: ج٥ ص١٥١.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥١.

(٣) يقول إد ماكريكين مؤسس شركة سيلكون جرافكس انكوربوريتد: (وأظن أن جميع شركات وادي السيليكون تقريباً قد رفعت ضدها قضايا مرات متعددة ـ مثل هيولت باكارد ـ وإنتل وشركتنا، والحقيقة أنه عند مقاضاة إحدى الشركات وعند التوصل إلى تسوية مالية كبيرة فإن حملة الأسهم لا يحصلون كأفراد على أي شيء منها. وإنما يحصل عليها في الحقيقة بيل ليراتش (وهو محامي بارز) وأصدقاؤه الذين حققوا ◄

الظالم أو المظلوم (حسب من هو الخاسر) سيحاول استرجاع ما بذل من أجور للمحامين وشبه ذلك، برفع الأسعار أو باتخاذ قرار بعدم زيادة أجور العمال.. مما يعني ضغطاً على الفقراء أيضاً.

و: تجنب الربا

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾[1]..

وقد تحدثنا عن ذلك في بند آخر.

ز: النزاهة

«وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم»[2]..

وهذا يعني تحريم التلاعب بالأسواق، وقد سبق.

ح: الصدقة

يقول الإمام علي (عليه السلام):

«إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة»[1].

◄كثيراً من الأموال من وراء ذلك)، المصدر كتاب في صحبة العمالقة تأليف جاجر واورتيز ص٣١٧.

(١) الكافي: ج٥ ص١٥١.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٠.

والصدقة لها تأثير مباشر في احتواء الفقر كما هو بديهي.

كما لها تأثير غير مباشر لكنه أساسي وإستراتيجي جداً، فإن الصدقة تقوي النسيج الاجتماعي وتزيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما ينعكس إيجاباً على الإنتاجية.

هذا كله إضافة إلى عامل الغيب، فإن الرزق بيد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2].

وقال الإمام علي (عليه السلام): «الغنى والفقر بعد العرض على الله»[3].

وإذا رأى الله من عبده الإنفاق رغم حاجته، فإنه يفتح له باباً إلى الرزق من حيث يحتسب وقد يرزقه من حيث لا يحتسب.

وهذا العامل مشترك يشمل الأفراد والشركات والدول أيضاً.

ثم إن منهج الصدقة لو شاع، فإنه يعود بالفائدة على الإنسان نفسه، وذلك عندما تنعكس الظروف، فاليوم هذا يتصدق على ذاك، ثم تدور الأيام ليتصدق الثاني على الأول، فالصدقة إذن نوع أساسي وهام وشمولي من أنواع التكافل الاجتماعي.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٨

(٢) سورة الذاريات: ٥٨

(٣) نهج البلاغة: ص٥٥٥.

ط: صلة الأرحام

إن صلة الرحم عامل مهم من عوامل القضاء على الفقر، غيبياً ومادياً أيضاً.

قال الإمام علي (عليه السلام):

«ألا لا يعدلنّ أحدكم عن القرابة، يرى بها الخصاصة، أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه»[١].

ويذكر (عليه السلام) فوائد ذلك منبها على أن (القرابة):

«١: هم أعظم الناس حيطة من وراءه.

٢: وألـمّهم لشعثه.

٣: وأعطفهم عليه عند نازلة أن نزلت به.

٤: ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير من المال يرثه غيره»[٢].

فصلة الرحم ـ عاطفياً ومالياً وغير ذلك ـ تؤثر مباشرة في تقليص مساحة الفقر كما هو واضح، وتصنع البنية التحتية الاجتماعية للقضاء على الفقر أيضاً، إذ بصلة الرحم تتقارب القلوب وتتكاتف الأيدي فيكون المجموع ـ بالتعاون ـ أقدر على مكافحة الفقر وعلى النهوض الاقتصادي المتواصل.

---

(١) نهج البلاغة: ص٦٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٦٥.

ولـذا نجـد أن كـثيراً مـن الـشركات العائليـة نجحـت مـا دامـت متمـسكة بـصلة الـرحم، وتهـاوت عنـد مـا دب الخـلاف وقطعـت الرحم وانفصمت عرى المودة والمحبة.

ثـم إن صـلة الـرحم تعـدّ مـن أهـم عوامـل سـلامة الأعـصاب والقضاء على الكآبة، والثقـة بـالنفس، وكـل ذلـك ينعكس بـشكل إيجابي على قدرة الإنسان على النهوض الاقتصادي..

وبالعكس فإن (قطع الرحم) هو من أهم عوامل الكآبـة ودمار الأعصاب والعديد من الأمراض الأخرى، مما يسبب تضاؤل القدرة على التخطيط الاقتصادي الـسليم، وعلـى الإدارة المتميـزة، والأداء الجيد، كما يسبب قصر العمر أيضاً، ولـذلك قـال الإمـام علـي (عليه السلام):

«يا نوف صل رحمك، يزد الله في عمرك»[١].

وقـال الإمـام الرضـا (عليه السلام): «صـلة الأرحـام تحـسن الخلـق وتـسمح الكـف وتطيـب الـنفس وتزيـد في الـرزق وتنـسي مـن الأجل»[٢].

وقـال الإمـام علـي (عليـه الـسلام): «حلـول الـنقم في قطيعـة الرحم»[٣].

---

(١) بحار الانوار: ج٧٤ ص٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١١٤.

(٣) غرر الحكم: ص٤٠٦.

وقال (عليه السلام): «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»[1].

إن قطيعة الرحم هي من أهم عوامل تفكك الأسرة وضياع الأولاد، مما يعني أيضا:

١: إن أموال الأسرة تنتقل ـ بالإرث وغيره ـ إلى أولاد أشرار.

٢: إن أموال الأسرة ستصرف ـ نتيجة تفكك العائلة وفسادها ـ في المحرمات: القمار، الخمر، الزنا وغير ذلك، مما يعني وصول الأموال لأيدي الأشرار.

٣: إن أموال الأُسر الصالحة التي قطعت الرحم تنتقل إلى الأسر غير الصالحة التي وصلت الرحم، نتيجة إفلاس شركات الأسر الأولى ـ على ضوء النزاع وغيره ـ ونتيجة تعاون الأسر غير الصالحة[2]، ولذلك كله وغيره قال الإمام الباقر (عليه السلام): «صلة الرحم تعمر الديار، وتزيد في الأعمار، وإن كان أهلها غير أخيار»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٣٨.

(٢) حول الصدقة وصلة الرحم ونظائرها يراجع (الفقه: الآداب والسنن)، وكتاب العشرة من بحار الأنوار، والوسائل، والكافي وغيرها.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٩٤.

الفصل الثالث

مناشئ الفقر وعوامله

عوامل الفقر وأسبابه

هناك أسباب كثيرة تخلق الفقر وتزيد نسبة الفقراء في المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، مثل موجبات ارتفاع الأسعار وظاهرة الغلاء.

وهذه مجموعة من أهم تلك العوامل المباشرة وغير المباشرة:

١: لا لملكية الدولة

تملّك الدولة لمصادر الثروات الطبيعية مثل الأراضي، والمعادن، والغابات، والبحار وثرواتها، وواضح أن كل هذا يسبب الفقر والحرمان وأيضاً الغلاء، فإن الأرض وغيرها لو كانت متاحة ومجانية للجميع فإن تكاليف هائلة ستسقط عن كاهل الفقراء وتنخفض نسبة الفقر بشكل آلي، كما تتوفر للفقراء فرص ومصادر سهلة للإثراء المشروع.

إن الإسلام يؤكد على أن مصادر الثروة تلك، مملوكة لله، ثم هي للناس عامة، ولا حق للدولة بأن تمنع أحداً من امتلاكها.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»[2].

وقد أطلق الإمام علي (عليه السلام) للناس حرياتهم وأعطاهم مطلق الحق في أن يزرعوا ما شاءوا من الأراضي، أو يبنوا ما شاءوا، أو يرعوا حيثما شاءوا، أو أن يستثمروا ويحوزوا كما شاءوا من الغابات والمعادن وغيرها[3].

٢: لا لكثرة الموظفين

إن الإسلام يرى ظاهرة كثرة أعداد الموظفين في دوائر ومؤسسات الدولة، تمثل عبئاً على الفقراء، حيث يعيش هؤلاء ويستهلكون دون إنتاج، بينما الفقير يجهد نفسه لينتج لكنه بالكاد يتمكن من الاستهلاك والحصول على ما يريده.

وهذه مشكلة شائعة في الدول التي يسيطر عليها الاقتصاد الحكومي المغلق.

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١.

(٣) (راجع السياسة من واقع الإسلام) و(حكومة الرسول صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام).

ومن الأمثلة:

- الآلاف من العاملين والمنتسبين في أجهزة الأمن والشرطة والجيش.
- الآلاف من الموظفين والعاملين في دوائر السفر والجنسية والجوازات والمخافر الحدودية.
- الآلاف من الموظفين في الدوائر والمؤسسات التابعة لوزارات الدولة.

ولقد قام الإمام علي (عليه السلام) بأمر مدهش في مجال القضاء على تضخم الموظفين، حيث إنه عليه السلام وبتخطيط استراتيجي شامل ومتكامل سياسياً واقتصاديا وإدارياً، استطاع أن يحكّم العدل في الكوفة ذات الأربعة ملايين نسمة، بقاض واحد!

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) اكتفى بعد أن فتح مكة بأن نصب شخصاً واحداً حاكماً على مكة يدعى (عتاب).

رغم أن مكة كانت عاصمة مناهضة للرسول صلى الله عليه وآله طوال عقود من الزمن وكانت تعج بالمعارضة المسلحة.[1]

---

(١) لمعرفة عمق مأساة تضخم الموظفين وأسباب المقدرة على تحقيق ذلك راجع: (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) و(الفقه: الدولة الإسلامية)، و(الفقه: القضاء) للإمام الشيرازي قدس سره، وكذلك كتاب (دولة الرسول صلى الله عليه وآله) للدكتور القزويني.

٣: لا للتسلح

إن سباق التسلح والأسلحة تستهلك سنوياً مئات المليارات من الدولارات.

فحسب تقرير أعدّه معهد أبحاث السلام فإن النفقات العسكرية العالمية عام ٢٠٠٤ تجاوزت الألف مليار دولار!!

وفي عام ٢٠٠٦ قاربت ألفين وثمانمائة ملياراً، أي تريليونين و٨٠٠ مليار دولار!!

ومن البديهي أن هذه الأموال الضخمة التي كان يجب أن تنفق على توفير الحاجات الأساسية للناس، أنفقت على أدوات وأجهزة الموت وأسلحة الدمار الشامل.

ثم إن للأسلحة نتائج سلبية منها:

أ: إنها تثقل كاهل الناس، إذ توفرها الحكومة من الضرائب مما يشكل عبئاً إضافياً على الفقراء، أو أنها تستقطعها من وارد الدولة ومن الثروات الطبيعية كالنفط، وهذا يعني سرقة أموال الناس تحت شعار تعزيز القوة العسكرية، وضمان ديمومة النظام الدكتاتوري الحاكم، أو حتى الدكتاتوري بلباس ديمقراطي.

ب: تجد هذه الأسلحة وبسهولة طريقها نحو الصراعات الداخلية والحروب، بل أحياناً يخطط تجار الأسلحة حول العالم،

وكذلك تفعل الدول المنتجة للسلاح لإثارة الحروب ولو بالوكالة، لتسويق تلك الأسلحة، ثم العمل على ديمومة هذه الحروب، والحرب هي بالحقيقة الدمار الشامل للبلاد، وأحد أهم أسباب فقر الشعوب.

وقد أوضح الإمام الشيرازي ﷺ أن بقية الله الأعظم الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يعيد وسائل الحرب والقتال إلى ما كان سائداً في الماضي، فيعود السيف والرمح ـ مثلاً ـ مما يعني أولاً صبّ كافة الأموال التي تتوفر من ذلك في جيوب الناس والفقراء.

ومما يعني ثانياً: تضاؤل أخطار وأضرار الحروب بدوافع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية إلى الأقل من الواحد بالمائة ألف![1]

٤: لا لسرقة الحكومة

السرقة قد تكون (مقنّعة)[2]، وقد تكون غير مقنعة.

ولهذا البند حديث طويل يترك لمحله. ونكتفي بالمثال التالي:

فقد احتج تلميذ الإمام علي (عليه السلام) أبو ذر الغفاري على معاوية

---

(١) راجع كتاب (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، للشيرازي ﷺ.

(٢) السرقة المقنعة: كالضرائب، وكذا بيع ما هو ملك الناس لهم! كبيع الدول النفطية الغاز والنفط للناس، مع أنه ملك الناس.

عندما بنى لنفسه قصراً بأربعة ملايين دينار ذهبي! فقال له: إن كنت بنيت قصرك هذا بأموال الله فقد اجترحت أثماً وارتكبت حراماً وإن كنت بنيته بأموالك فقد أسرفت!

٥: لا لسوء التوزيع

إن الله تعالى هو خالق الأرض كلها، وهو خالق البشر كلهم، وقد جعل الأرض بثرواتها كلها للبشر بأجمعهم، وصرح قائلاً: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[١].

فـ ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ هو (لكم) جميعاً.

لكن البشر لجهلهم جزؤوا العالم ووضعوا الحدود الجغرافية فكان أن أتخم بلد بالثروات وناء بلد آخر تحت ضغط الحاجة.[٢]

---

(١) سورة البقرة ٢٩.

(٢) أظهر تقرير المخاطر العالمية لعام ٢٠١٢ التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي الذي عقد في منتجع دافوس بسويسرا: أن التفاوت الحاد في الدخول والأوضاع المالية غير المستقرة للحكومات يشكلان أكبر تهديد اقتصادي يواجه العالم. وأظهر مسح لآراء ٤٦٩ من الخبراء والقادة الصناعيين أن ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب وأزمة التقاعد بين أرباب المعاشات المعتمدين على دول مثقلة بالديون واتساع فجوة الثروات قد نثرت "بذور واقع مرير". ولم يعد الناس يعتقدون ولأول مرة منذ أجيال أن أولادهم سيكبرون ليتمتعوا بمستويات معيشية أفضل. وقال لي هاويل العضو المنتدب للمنتدى الاقتصادي العالمي المسؤول عن التقرير: "يحتاج الأمر اهتماما سياسيا فوريا وإلا فلإن البلاغة السياسية التي تستجيب لهذا الاضطراب الاجتماعي ستتضمن ◄

◀نزعة وطنية وحمائية وتقويض عملية العولمة".

وفي عالم يتزايد فيه التداخل والتشابك يظهر تقرير المنتدى أيضا المخاطر التي تشكلها الهجمات الالكترونية على الأفراد والشركات والدول. وقال ستيفي ولسون مسؤول مخاطر التأمين لدى زوريخ للخدمات المالية: "أظهر الربيع العربي قوة خدمات الاتصالات المترابطة في دعم حريات الأفراد وسهلت التكنولوجيا نفسها الاحتجاجات في لندن." وقال ولسون "إنه أمر محير تماما مدى التعقيد الذي أصبح عليه العالم ومن الصعب إدراك المخاطر التي تأتي من ذلك."

ويقول جوزيف ستيجليتز الاقتصادي والأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك الحاصل على جائزة نوبل: "الطريقة التي طبقنا بها العولمة فاقمت من عدم المساواة لأنها كانت غير متناسقة للغاية. "رأس المال يتحرك بحرية أكبر من الأيدي العاملة."

ولعل هذا يفسر الأرقام الواردة في تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٥ الذي يظهر أن دخول أغنى ٥٠ شخصا في العالم مجتمعة يتجاوز دخول أفقر ٤١٦ مليون شخص في العالم، وأن هذا التوزيع غير المتساوي للدخل تفاقم في دول كثيرة في الأعوام العشرين الماضية.

وتقول دراسة صدرت في يونيو حزيران عن معهد السياسة الاقتصادية وهو معهد بحثي: أن متوسط دخل المدير التنفيذي الأمريكي العادي يزيد ٨٢١ مرة عن دخل أقل عامل أجراً، وهو ما يمثل أكبر فجوة على الإطلاق.

وقال بابلو ايزنبرج زميل معهد السياسة العامة بجامعة جورج تاون: "نظامنا السياسي والايديولوجية المحافظة للغاية التي تقول إن السبيل إلى دعم الاقتصاد هو خفض الضرائب المفروضة على شديدي الثراء زادت من عدم المساواة بشدة في مجتمعنا."

ويقول تقرير للبنك الدولي عن الفقر في العالم نشر عام٢٠٠٠ـ ٢٠٠١، والذي جاء ممتلئا بالأرقام، على ما نشرتها شبكة النبأ المعلوماتية، وهي تؤكد أن العالم يمشي في طريق متناقض ومتباعد، حيث يزداد الأغنياء غنىً، والفقراء فقراً!. ويقول التقرير الذي يحمل عنوان (شن هجوم على الفقر) فإن من بين سكان العالم البالغ عددهم ٦مليارات نسمة يعيش٢,٨ مليار على أقل من دولارين يومياً ومن بين هؤلاء الفقراء يعيش٢,١ مليار على أقل من دولار واحد يوميا، نصفهم تقريبا ٤٤٪ في جنوب ◀

◀آسيا. فمتوسط الدخل في أغنى ٢٠ بلداً في العالم يعادل ٣٧ مرة متوسط الدخل في أفقر ٢٠ بلداً في العالم وهذه الفجوة بين دخول أغنياء العالم الأول وفقراء العالم الثالث تزداد بل تتضاعف بشكل مفزع، فمنطقة أوروبا الشرقية وآسيا الوسطي التي تجتاز مرحلة التحول إلي اقتصاد السوق، ارتفع عدد الأشخاص الذين يعيشون علي أقل من دولار واحد يومياً لأكثر من عشرين ضعفا، وهؤلاء تبلغ نسبتهم حوالي ٢٤٪ من إجمالي عدد السكان هناك.

أما في منطقة شرق آسيا فإن نسبة هؤلاء تبلغ حوالي ٣,١٥٪ وهو يعادل ٢٨٠ مليون إنسان. وبشكل عام لو أردنا أن نوزع غنيمة الألم والفقر تلك على مناطق العالم المختلفة، مع ملاحظة أن الفقر الذي نقصده هنا هو الفقر المدقع الذي يقل فيه دخل الفرد عن دولار يوميا وقد ينعدم تماما، كما يظهر تقرير البنك الدولي، سنجد أن جنوب آسيا هي أكثر المناطق استيعابا لعدد الفقراء حيث يضم ٥,٤٣٪ من إجمالي فقراء العالم، تليه قارة إفريقيا وبالتحديد منطقة جنوب الصحراء التي تأوي ٣,٢٤٪ من الفقراء، ثم منطقة شرق آسيا والمحيط الهادي حوالي ٢,٢٣٪ فأمريكا اللاتينية ٥,٦٪، ثم أوروبا وآسيا الوسطي ٢٪ وأخيراً الشرق الأوسط ٥,٠٪.

هناك ثلاث فئات في تقسيم دول العالم، هي الدول ذات الدخل المنخفض وعددها ٤٥ دولة وهي التي يصل متوسط الدخل فيها سنويا إلى ٦٩٥ دولاراً فأقل، والدول متوسطة الدخل وعددها ٦٣ دولة، ويتراوح متوسط الدخل فيها ما بين ٦٩٦ ـ٨٦٥ دولارا سنويا، ودول مرتفعة الدخل وعددها ٢٤ دولة وهي التي يصل متوسط الدخل السنوي بها إلى ٨٦٢٦ دولاراً فأكثر، هذا مع مراعاة وجود حوالي ٧٧ دولة عدد سكانها أقل من المليون و لا تتوافر عنها بيانات كاملة وإن كانت البيانات التقديرية تحدد أن ٧٣ دولة منها ذات دخل منخفض والباقي ٤ دول ذات دخل مرتفع. فإذا اعتبرنا أن ٤٥ دولة من الدول الفقيرة أضفنا إليها من الدول متوسطة الدخل في الحد الأدني وهي ٤١ دولة إلي جانب الدول التي يقل عدد سكانها عن المليون فسنجد أن ١٥٩ دولة يمكن تصنيفها على أنها دول فقيرة من أصل ٢٥٩ دولة هي عدد دول العالم وذلك بنسبة تبلغ ٧٦٪!

أما اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء فهي على مستوى الناتج المحلي ◀

◀الإجمالي العالمي سنجده كما تقول الدراسة موزعا كالآتي:
الدول الصناعية الغنية والتي تمثل ٢٠٪ من دول العالم يبلغ الناتج المحلي بها ١٨ تريليون دولار بنسبة ٧٨٪.
أما الدول النامية وهي ٨٠٪ من دول العالم فإن نصيبها من الناتج العالمي ٥ تريليونات دولار بنسبة ٢٢٪ فقط.
مفاجأة أخرى فإن عدد مليارديرات العالم وعددهم ٣٥٨ ملياردير يمتلكون ما يزيد على مجموع الدخل السنوي لدول بها ٤٥٪ من سكان العالم!!
وتُعتبر فجوة الثروة في الشرق الأوسط وأفريقيا الأكبر في العالم، ففي قطر، يبلغ معدل الدخل الفردي أكثر من ٨٧ ألف دولار، بينما يبلغ في البحرين ٣٥ ألف دولار، وذلك مقابل ٢٤٠٠ دولار باليمن و٢٣٠٠ بالسودان. وتقول منظمة المؤتمر الإسلامي إن ٤٣ في المائة من السكان في اليمن يعيشون على دولارين يومياً، ولذلك فإن الدولة تعتبر بين الأفقر في المنطقة، وقد كان مؤتمر لندن الذي عقد لدعم صنعاء مخصصاً لمواجهة تحول اليمن إلى دولة فاشلة. ويعيش في العالم أكثر من مليار ونصف مسلم يشكلون سوقاً واعدة، ولكن ٣٩ في المائة منهم دون خط الفقر.
ويشير حليم بركات في دراسة (المجتمع العربي المعاصر في القرن العشرين) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٠ إلى أن فجوة عميقة واسعة ومتزايدة تفصل بين الأغنياء والفقراء في البلدان العربية كافة سواء بالنسبة الى توزيع ملكية الأراضي والعقارات أو في توزيع الثروة أو في احتلال مواقع النفوذ أو المكانة الاجتماعية، وبذلك تكون البنية الطبقية في المجتمع العربي ككل، بنية هرمية تتشكل قاعدتها الواسعة من الطبقات الدنيا. وأول ما يلفت النظر في هذا السياق أن متوسط معدل نمو سكان الدول العربية بلغ في عام ٢٠٠٤ نحو ٢,٣٪ وهو أعلى معدل زيادة في العالم ما عدا أفريقيا جنوب الصحراء، وهو ضعف المعدل العالمي، وأربعة أضعاف معدل الدول المتقدمة اقتصاديا. وتشير الاحصاءات السكانية الى أن عدد سكان الدول العربية يتضاعف كل ثلاثة عقود تقريباً مقارنة بنحو ١١٦ عاما في الدول المتقدمة.

الفقيرة من ثروات كانت لهم فيها حصة حسب القانون الإلهي، ومن جهة أخرى منعت التبادل التجاري الحر بين البلاد وكانت وراء وضع الجمارك مما أضر بفقراء كلا البلدين.

ولذلك نجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألغى الحدود الجغرافية بين الدول التسع التي خضعت لحكومته، وألغى الإمام علي (عليه السلام) الحدود الجغرافية بين الدول الخمسين التي خضعت لحكومته. وسيلغى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الحدود الجغرافية بين دول العالم كافة، عندما يظهر في آخر الزمان «فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».[1]

---

(١) يقول المرجع الراحل الإمام السيد محمد الشيرازي ﷳ في كتابه: (القرن الحادي والعشرون وتجديد الحياة):

يلزم في الوقت الراهن، رفع الحدود الجغرافية بين البلدان كافة، وليس فقط بين بلاد المسلمين، ذلك لأن الحدود الجغرافية تجعل الإنسان أقل قدراً من الخنافس والفئران والطيور والبهائم، فهل لهذه المخلوقات حدود تحجزها؟ أم أنها تمشي وتطير أنى شاءت، والأسماك تسبح حيث تريد، لكن الغرب قيد الإنسان وكبّله بشروط الجنسية والإقامة والهوية وغيرها مما يعيق حركته ويقيد نشاطه والقعود عن بلوغ غايته التي يريد، وهكذا فلكل بلد حدود لا يدخل الإنسان أو يخرج منها إلاّ بجواز أو أذونات رسمية، أو غير ذلك مما هو معهود بين الدول... هذا على حين نرى أن الرسول الأكرم محمد المصطفى ﷺ قد أسقط جميع الحدود بين بلاد الإسلام، فأينما حل المسلم ـ وقتذاك ـ فهو في بلده وبين مواطنيه.

وربّما يتوهّم أنّ ذلك يوجب الجناية والإخلال بالنظم أو ما أشبه، لكن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، حسب المثل الفلسفي.. ◄

٦: لا للمقامرة

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (١).

إن القمار من العوامل الأساسية لتدمير البناء الاجتماعي للفقراء وأيضاً للحياة الأسرية، مما ينعكس سلباً على الإنتاج، لأنه عملية استهلاك خالصة، فليس المقامر بمنتج بل يعيش على جيوب الآخرين! وهنالك تفصيل حول الموضوع في الكتب المتخصصة.(٢)

◀ إن وضع الحدود هو خلاف الإنسانية وخلاف العقل وكرامة الإنسان، وإنما صارت بسبب جهل الحكام بهدف تقييد الإنسان بما يشاؤون، فاللازم حيث توسعت آفاق المعرفة وزالت معظم الديكتاتوريات، أن تزول تلك الحدود أيضا، وأن الحدود إنما راجت في أشد أزمنة الاستعمار على الشعوب، وحين زال الاستعمار فينبغي أن تزول.

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) يظهر تقرير نشر في شبكة النبأ المعلوماتية تحت عنوان (المقامرة.. سرطان الحضارة الغربية المتصاعد)، أن الغرب يعج بأماكن رسمية للفساد والدعارة وغسيل الأموال بصورة غير مباشرة، وتوفرت مع تطور التكنولوجيا إمكانات ضخمة لدى مروجي ومستخدمي تلك الأماكن في جذب الزبائن والمستثمرين من كافة أنحاء العالم بالطرق الاعتيادية أو عبر شبكة الانترنت من خلال شركات خاصة. وبعد الطفرة التي شهدها سوق القمار الإلكتروني مع ظهور أكثر من ألفي موقع يسمح بالقيام بالمراهنات على الألعاب الرياضية عبر بطاقات الائتمان، ودون تحديد سقف للرهانات. وأكدت تقارير دولية أن عوائد ألعاب القمار والميسر بلغت ١٠١ مليار دولار عام ٢٠٠٦، ◀

٧: لا للفساد المالي

قال الإمام علي (عليه السلام): «إنما هلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه»[(١)].

وقال عليه السلام: «لا ينبغي أن يكون الوالي المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع»[(٢)].

◄ ويتوقع أن تقفز بقوة إلى ١٤٤ ملياراً عام ٢٠١١، مع استمرار النمو المرتفع لهذه النشاطات، والاتجاه العام لنشر مزيد من صالات القمار والملاهي حول العالم. وتظهر ضخامة عوائد القمار عبر مقارنتها بحجم الاستثمارات التي تم ضخها في مجمل دول العالم النامي عام ٢٠٠٦، والتي بلغت ٥٥٠ مليار دولار. وقفزت عوائد القمار في الولايات المتحدة وحدها بمقدار ٦,٧ في المائة سنوياً، ومن المتوقع أن تبلغ عام ٢٠١١ قرابة ٧٩,٦ مليار دولار، علماً أنها بلغت عام ٢٠٠٦ أكثر من ٨٧,٥ مليار دولار. أما منطقة آسيا والباسيفيك، فستزداد فيها عوائد الميسر بمعدل ١٥,٧ في المائة، حتى تصل إلى ٣٠ مليار دولار عام ٢٠١١ مقارنة بحوالي ١٤,٦ مليار دولار عام ٢٠٠٦، مما سيجعلها ثاني أكبر سوق عالمية لهذه الألعاب. أما أقل المناطق التي ستشهد زيادة في أرباح ألعاب القمار المرخصة، فهي أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط، حيث لن ترتفع العوائد المقدرة حالياً بزهاء ٢٥,٢ مليار دولار، إلا بمقدار ١,٩ في المائة بحلول العام ٢٠١١، أي ستصل إلى ٢٧,٨ مليار دولار. في حين ستبلغ العوائد في كندا بمفردها ٥,٩ مليار دولاراً، بينما لن تتجاوز ٤٩٥ مليون دولار في قارة أمريكا الجنوبية بأسرها. وشهدت الأعوام الماضية إقبال أعداد قياسية من السياح على زيارة نيويورك ولاس فيغاس. ففي عام ٢٠٠٦ استقبلت نيويورك ٤٤ مليون زائر، أما عاصمة نوادي القمار في صحراء نيفادا فقد زارها ٣٨,٩ مليون شخص.

(١) نهج البلاغة: ص٣٦٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

إن الرشوة تزيد الفقراء فقراً، وهو زيف واستغلال وفساد وإفساد، فإن المرتشي يستغل حاجة الطرف الآخر فقيراً كان أم غنياً مما يزيد نسبة الفقر أو درجته في الحالتين، وأما الأغنياء فإنهم يعوضون خسائرهم من الرشوة بزيادة قيمة منتجاتهم وبضائعهم.(١)

---

(١) كشف التقرير الدولي للفساد ٢٠٠٩، والذي أعدته (منظمة الشفافية الدولية) أن العالم ينفق ما بين ٢٠ و٤٠ مليار دولار على الرشاوي سنوياً، وتعادل قيمة هذه الرشاوي حوالي ٢٠٪ إلى ٤٠٪ من المساعدات التنموية الرسمية. وهو ما يلحق الضرر بالتجارة والتنمية والمستهلك.

ورصد التقرير تجاهل الشركات بالالتزام بالقانون والقيام بمشروعات تتصف بالتهور وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم التبصر بالعواقب مثل تنفيذ مبان غير آمنة هندسيا مما يترتب عليه تعرضها للانهيار مع عواقب وخيمة في الأرواح والأموال في تركيا، والأدوية غير الآمنة في نيجيريا، وظروف العمل الاستغلالية في الصين، ونقص المياه في إسبانيا. ورصد زيادة تكاليف المشروعات حيث ذكر نصف المديرين الذين شملتهم الدراسة أن الفساد أدى إلى زيادة تكاليف المشروعات بنسبة تصل إلى ١٠٪ على الأقل كما أن خمس المديرين من الذين شملتهم الدراسة ذكروا أنهم فقدوا وظائفهم بسبب الرشاوي.

ويسلّط مؤشر مدركات الفساد للعام ٢٠٠٨ الصادر عن منظمة الشفافية الدولية، الضوء على الصلة القاتلة بين الفقر وفشل المؤسسات والابتزاز. ففي أشد البلدان فقراً، يمكن لمستويات الفساد أن تعني الفرق بين الحياة والموت، عند ما تكون الأموال المخصصة للمستشفيات أو المياه النظيفة على المحك. كما أن استمرار ابتلاء الكثير من المجتمعات بالمستويات العالية من الفساد والفقر قد بلغ حد الكارثة الإنسانية المستمرة بشكل لا يمكن السكوت عليه.

يعرض انتشار الفساد في البلدان المنخفضة الدخل المكافحة الدولية للفقر للخطر ويهدد بعرقلة تحقيق أهداف الأمم المتحدة التنموية للألفية حيث يؤدي بقاء الفساد بدون ◄

▶رادع إلى إضافة مبلغ ٥٠ مليار دولار أمريكي (ما يعادل ٣٥ مليار يورو) إلى تكلفة تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية بشأن المياه والمرافق الصحية. أي ما يقارب من نصف الإنفاق السنوي على المعونات العالمية.

ويقول تقرير منظمة الشفافية الدولية: إن طلب رجال الشرطة وغيرهم من المسؤولين الحكوميين الحصول على رشوة هو مشكلة كبرى في أنحاء العالم النامي. وأضافت المنظمة وهي منظمة غير حكومية مقرها برلين أن مؤشر الفساد العالمي لعام ٢٠٠٦ أظهر أن الرشوة أكثر انتشارا في أفريقيا حيث قال ٣٦ ٪ في المتوسط ممن شملهم الاستطلاع أنهم أو أن أحد أفراد عائلتهم دفعوا رشوة خلال الأشهر الاثني عشر الماضية. وفي أفريقيا بلغ متوسط مبلغ الرشوة التي تدفع للشرطة والقضاء أكثر من ٥٠ يورو (٦٦,٤٣ دولار). أما المبلغ الذي يدفع للمرافق وهي ثاني أكثر المؤسسات تلقيا للرشى في أفريقيا فيقل عن ستة يورو. وكانت أسوأ الدول الأفريقية في هذا الصدد التي شملها الاستطلاع المغرب الذي قال ٦٠ ٪ من المشاركين أنهم دفعوا رشى، والكاميرون التي بلغت النسبة فيها ٥٧ ٪ على مدى العام الماضي.

وقالت منظمة الشفافية الدولية إن الشرطة هي أكثر الجهات تلقياً للرشى. وفي أمريكا اللاتينية دفع شخص بين ثلاثة ممن شملهم الاستطلاع رشوة في تعاملهم مع الشرطة. واحتل القضاء المركز الثالث بين أكثر المؤسسات فساداً في أمريكا اللاتينية. وكانت أكبر الرشى تدفع للخدمات الصحية وبلغت في المتوسط ٤٥٠ يورو. وجاءت الرشى التي تدفع للقضاء ومسؤولي الجمارك في المرتبة التالية وزادت على ٢٠٠ يورو.

وتعليقاً على هذه النتائج، قالت رئيسة منظمة الشفافية الدولية هوغيت لابيل: إن هذا الاستطلاع الدولي يظهر عمق الأثر السلبي والمأساوي لظاهرة الفساد على حياة الأفراد اليومية. وأضافت: إن "الفقراء الذين لا يستطيعون دفع رشاوي في بعض البلدان، لا يتمكنون من الحصول على الخدمات الأساسية"، وبالتالي "ندعو حكومات كافة الدول إلى تحمل مسؤولياتها ومواجهة هذه الظاهرة بجدية أكبر".

وقالت المنظمة: إن حوالي ٢٠٪ من الناس في أنحاء أفريقيا وأمريكا اللاتينية أجبروا في الفترة الأخيرة على دفع رشاوي خلال تعاملهم مع المحاكم، وبلغت هذه النسبة واحدا بالمائة في دول أوروبا. وأوضحت المنظمة أنه عندما يكون النظام القضائي في دولة ◀

٨: لا للاحتكار[1]

◀ما مستقلا فإن وتيرة النمو الاقتصادي تتسارع بشكل أكبر. وأظهر التقرير أن أسرة واحدة على الأقل من بين كل عشر أسر اضطرت لتقديم رشاً لتتمكن من الوصول للعدل في أكثر من ٢٥ دولة، وفي ٢٠ دولة أخرى، قال ٣٠ ٪ من الأسر إنهم قدموا رشا للحصول على نتيجة "عادلة" في المحاكم. وقالت رئيس المنظمة أوجيت لابيل إن "الفساد القضاء يعني أن صوت الأبرياء غير مسموع بينما المذنبون يتحركون دون خشية من العقاب". وأضاف التقرير إنه رغم عقود من الإصلاح لحماية استقلال القضاء فإن الضغوط التي تمارس على المحاكم لإصدار أحكام لصالح مصالح سياسية لا تزال هائلة. وأظهر التقرير أن الرشوة والنفوذ السياسي في المحاكم يحرمان المواطنين في العديد من الدول من حقهم الأساسي في محاكمة عادلة، وأن عائلة على الأقل من بين كل عشر عائلات تضطر لدفع رشوة للوصول إلى العدالة في أكثر من ٢٥ دولة. وقال التقرير: "القضاء المطاط يوفر حماية (قانونية) لمن هم في السلطة لتغطية استراتيجيات مريبة أو غير قانونية مثل الاختلاس ومحاباة الأقارب والقرارات السياسية." وأشارت المنظمة أيضا إلى مشكلة الإجراءات غير الفعالة في محاسبة القضاة الفاسدين وضمان بقاء الأفراد المستقلين في أماكنهم.

(١) الاحتكار لغة من (الحكرة) وهو السيطرة. واصطلاحاً: هو حبس الطعام أو كل ما يضر الناس أو يعسر عليهم وقت الحاجة الماسة وأينما تكون قليلة أو نادرة حتى يرتفع ثمنه فيعرضه للبيع. وفي علم الاقتصاد هي (monopole / monopoly)، بمعنى الحالة التي يكون السوق فيها عبارة عن شركة واحدة فقط تؤمن منتوج أو خدمة أو مجموعة خدمات إلى جميع المستهلكين. وهذه الشركة تكون مسيطرة على كامل السوق، ولهذا تسمى الشركة حينها بالمحتكِرة. في هذه الحالة تستطيع الشركة أن تفرض الأسعار كيفما تشاء لأنه لا يوجد شركات أخرى لمنافستها في هذا السوق. وكل الشركات تسعى للوصول إلى هذه المرحلة لكي تتحكم بالمنتوج وبسعره وبالتالي كي تزيد من أرباحها.

يتشعّب من الاحتكار حالات كثيرة، قد يوجد في السوق مثلاً شركات أخرى ◀

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»(١).

وقال الإمام علي (عليه السلام) في عهده للأشتر: «فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع»(٢).

٩: لا للربا

قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾(٣).

وقال الإمام علي (عليه السلام): «يا معشر التجار، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة دبيب أخفى من دبيب النمل على الصفا»(٤).

وهو إشارة لتحريم الربا المقنّع أو الاحتيال في الربا، كما في مثال علبة الكبريت!!

◄منافسة على نفس المنتوج أو الخدمة ولكن عندما تكون هذه المنافسة هامشية مع الشركة المسيطرة على السوق، تُسمى الحال بالاحتكار الشبه كامل (quasi monopole) عندما يسيطر على السوق عدد قليل من الشركات تُسمى حينها هذه الحالة باحتكار القِلّة (oligopole / oligopoly).

(١) الكافي: ج٥ ص١٦٥.

(٢) نهج البلاغة: ج٣ ص١٠٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٦ ب١ ح١٦.

أما كيف ينشر الربا آفة الفقر في جسد الأمة، فنشير هنا إلى حالتين من حالات عديدة تجعل عملية الاقتراض سبباً في تكريس ظاهرة الفقر:

أ: إما أن يكون المقترض بحاجة ماسّة للقرض، كما لو احتاج إلى عملية جراحية أو علاج مستعجل، أو احتاج المال لتغطية تكاليف زواج ابنه، أو لتسديد دين أو لدفع غرامة أو ضريبة، أو غير ذلك.

ومن الواضح أن هكذا إنسان هو عادةً من ذوي الدخل المحدود، وإلاّ لما اضطر للاقتراض، فأخذ الربا منه حتى ولو بنسبة قليلة يعني تشديد الضغوط عليه، وزيادة حالة الفقر لديه، أو تحوله من الطبقة المتوسطة إلى الطبقة الفقيرة.

ب: أن يقترض للتجارة أو التوسع في التجارة.

ومن الواضح أن أخذ الربا من هذا المستثمر يؤدي - كناتج نهائي - إلى تشديد الضغط على الفقراء أيضاً، فهو من أجل أن يعوض نسبة الربا المفروضة عليه، يضطر إما لتخفيض أجور العمال، وهم عادة من ذوي الدخل المحدود، وإما لزيادة قيمة منتجاته، مما ينعكس سلباً على الفقراء.

ثم إن الربا يخلق شريحة غير منتجة في الأمة، إذ إن كثيراً من الناس سيدفعهم هذا الإثراء السهل إلى التحول إلى مرابين، بدءاً من

محيط القرية الصغيرة، وانتهاء بالمستوى العالمي، ومما يعني خلق شريحة غير منتجة، بل شريحة تعتمد في إثراءها على امتصاص دماء الآخرين، مما يسبب توسيع الهوة بين الأغنياء والفقراء، فيزداد الأغنياء غنىً والفقراء فقراً، وهذا بدوره ستتمخض عنه سلسلة من الاضطرابات الاجتماعية على المدى القصير والبعيد.

فعلى المدى القصير، يؤدي الضغط الاقتصادي إلى تحطيم بناء الأسرة ويخلق أمراضاً نفسية مثل الكآبة ويسبب تدهور الأعصاب، بل يوفر الأرضية لحدوث أمراض عديدة متنوعة أخرى، مما ينعكس كل ذلك على الإنتاج مباشرة، ويزيد الفقراء فقراً من عدة جهات.

وقد توصلت (اليابان) أخيراً إلى الأضرار الكبيرة للربا، فخفضت نسبة الفائدة إلى أن أوصلتها إلى قريب من نسبة الصفر، ثم أوصلتها إلى الصفر في الشهر السادس أو أواخر الشهر السابع[1].

وفي الاتجاه المعاكس فإن تحريم الربا يدفع للإنتاج الواقعي المثمر: المزارعة.. المضاربة.. البناء.. وما إلى ذلك.

وبتعبير آخر فإن الربا يحول النقد من واسطة سليمة لتبادل البضائع إلى (بضاعة كاذبة).[2]

---

(١) حسب ما ورد في مجلة (نيوزويك) وغيرها.

(٢) يقول المرجع الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي ﷫ في كتابه (فقه ◄

◀العولمة): ويميز العولمة الإسلامية من الجانب المادي والمالي: عدم المرابات، فإن عدم المراباة هو الميزة الجوهرية للاقتصاد الإسلامي، حيث لا يَظلم صاحب رأس المال ولا يُظلم، كما قال تعالى، وهذه الميزة اللاربوية هي من مفاخر وخصائص هذا الاقتصاد السماوي السليم، وبها يتميز ويتفرد وبشكل واضح عن الاقتصاد الرأسمالي وعن الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي البائد، وقد أخذت العديد من البنوك في العالم نظريات البنك اللاربوي في الإسلام، الذي هو واقعاً مصداق البنك التساهمي، والذي لايحيف بزبائنه، بل يتحمل كل منهم كلاً من الربح والخسارة، مع الخضوع لمتغيرات السوق وتقلباته. ويضيف ﷺ يحرم الربا وتحرم المعاملات الربوية، فقد كتب الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله:

«علة تحريم الربا إنما نهى الله عزوجل عنه لما فيه من فساد الأموال، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلا فبيع الربا وشراؤه وَكَس على كل حال على المشتري وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الربا لعلة فساد الأموال، كما حظر على السفيه أن يدفع إليه ماله لما يتخوف عليه من إفساده حتى يؤنس منه رشداً، فلهذه العلة حرم الله الربا، وبيع الربا بيع الدرهم بدرهمين، وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله تعالى لها لم يكن ذلك منه إلا استخفافاً بالمحرم للحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر، وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعلة ذهاب المعروف وتلف الأموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنائع المعروف، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال». وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله (عليه السلام) عن علة تحريم الربا؟ فقال: «إنه لو كان الربا حلالا لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا ليفر الناس من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات وإلى البيع والشراء فيبقى ذلك بينهم في القرض».

ويقول آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي ﷺ في كتابه (الاقتصاد):

تدور فكرة الإسلام عن الملكية على نقطة واحدة، هي من حيث التحليل والتحريم في منابع الثروة، وهي قانون (تكافؤ الفرص) فالعمل سبب لتنمية المال، فبنفسه ◀

◀لا ينمو، والنقود لا تلد النقود، ولو مر عليها ألف سنة... من وحي هذه الفلسفة الواقعية ينظم الإسلام برنامج اقتصادياته، ويرسم الحدود والقيود للمكاسب وعلى هذا الضوء يحرم أشياء ويحلل أشياء. ويضيف الشهيد ﷺ: الربا عصب الرأسمالية ودعامتها الراسية، لأن الربا لا يكون إلا في المجتمع المضطرب، فيه الثري الذي نقوده أكثر من نفقاته وتجاراته، وفيه المحتاج الذي سدت في وجهه السبل، فلم يجد منفذاً يرتزق منه أينما اتجه، حتى التجأ إلى المعاملات الربوية بدافع الحاجة والاضطرار، وإن خسر الفائض كل يوم، لكنه كالمقدم على الانتحار...وهكذا الربا ينمو ويزيد أضعافاً مضاعفة، فما هي إلا سنوات حتى تتسرب ثروات هائلة من أنامل الكادحين إلى مخازن المترفين. انتهى.

وفي تقرير نشر على شبكة النبأ المعلوماتية يظهر أن الكثير من الاقتصاديين اعتبر التمويل والصناعة المالية الإسلامية أثبتت بعد الأزمة المالية العالمية أنها النظام الوحيد الممكن لتلافي الأزمات المتكررة. فيما يعد قيام الحكومات الغربية بتأميم فعلي لشركاتها المتعثرة، ردة على مبادئ وأساسيات الاقتصاد الرأسمالي، مما يثبت انقضاء تلك الحقبة. حيث أظهرت دراسة نشرت أن البنوك التي تجري عمليات مصرفية متوافقة مع أحكام الشريعة الاسلامية تسجل ازدهاراً رغم الأزمة المالية العالمية وذلك بفضل "أسلوبها المحافظ في المخاطرة". وجاء في الدراسة التي أجرتها مجلة "ذي بانكر ماغزين" أن الأصول التي تملكها البنوك التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة عملياتها أو الوحدات المصرفية الإسلامية التي تعمل ضمن بنوك تقليدية ارتفعت بنسبة ٢٨,٦٪ لتصل إلى ٨٢٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٩، مقابل ٦٣٩ مليار دولار في عام ٢٠٠٨. ويتناقض ذلك بشكل كبير مع الركود في قطاع البنوك التقليدية، حيث دلت دراسة على أن أكبر ألف بنك في العالم والتي أجرتها المجلة في تموز/يوليو الماضي، نمواً سنوياً في الأصول لا يتجاوز ٦,٨٪. وقال محرر المجلة بريان كابلن: إن "الاسلوب المحافظ الذي تتبعه (المصارف الإسلامية في التعامل) مع المخاطر والصلات الوثيقة بين القطاع المالي والأصول الحقيقية ساعد على حماية هذا القطاع من أسوأ أزمة ائتمان".

ويرى خبير أن السبب يعود لواقع أن هذا الاقتصاد: "لا يقوم على سعر الفائدة ◀

وإلى بعض ما سبق، وغيره أشار الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سأله هشام بن الحكم قال:

سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن علة تحريم الربا؟

فقال عليه السلام: «إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس» ـ والمقصود كثير من الناس ـ «التجارات وما يحتاجون إليه، فحرم الله الربا لتنفر الناس عن الحرام إلى التجارات وإلى البيع والشراء فيتصل ذلك

◄التي تتسبب في كل الأزمات، فإنها إذا ارتفعت حصل تضخم، وإذا ارتفعت توسعت المصارف في الإقراض كما حدث بأمريكا عبر الرهون العقارية ما أدى إلى التعامل وبيع الديون ثم عجز المدينين عن السداد." ولفت المتخصص في الاقتصاد الإسلامي إلى أن أسسه تجعله بريئاً من كل ما سبب الأزمة لأن ليس فيه اتجار بالديون ولا يقر بسعر الفائدة ولا البيع القصير وبيع ما ليس لدى البائع أو البيع على الهامش." وشرح قائلاً: "تورط العالم في معاملات حجمها ٦٠٠ ترليون دولار وهي في الأصل قمار وميسر، وهي المسماة مشتقات، في حين أن حجم الاقتصاد الحقيقي لا يتجاوز ٦٠ ترليون دولار، بينما المبلغ الباقي ليس فيه تنمية واستثمار." وعن رؤيته لمستقبل الاقتصاد الإسلامي، توقع الخبير أن يكون الاقتصاد الإسلامي "النظام الإسلامي" بعد ما اتجه العالم ككل إلى هذا النظام "بما في ذلك بابا الفاتيكان (بنديكتوس السادس عشر) الذي نصح بالرجوع إليه، وكذلك التعديلات القانونية التي تدخلها دول أوروبية في قوانينها وقيام البنك الدولي بإصدار صكوك إسلامية."

ويرى "فيليب ستيفنس" في صحيفة فايننشال تايمز حول الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية: إن اللوم يقع على المصرفيين الجشعين، وعلى قيادة ألن غرينسبان المتهورة للاحتياطي الفدرالي المركزي، وعلى ملاك البيوت العاجزين الذين اقترضوا مبالغ ليس باستطاعتهم أبدا تسديدها. واللوم يقع أيضا على الساسة والمشرعين في أي مكان لأنهم أغمضوا عيونهم على العاصفة الوشيكة.

بينهم في القرض»[1].

١٠: لا لتلويث البيئة

من أهم أسباب الفقر الإضرار بالبيئة، وقد حذر الله من ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[2].

وإفساد البيئة عامل تتعاون فيه الحكومات والشعوب.

فالحكومات هي السبب الرئيس في إفساد البيئة، ومن الأمثلة على ذلك:

رفض أميركا للدخول في اتفاقية كيوتو للحد من انبعاث الغازات السامة التي تسبب أضراراً بليغة بطبقة الأوزون.

ومثال المعمل النووي في الإتحاد السوفياتي السابقة (شرنوبيل)، وغير ذلك.[3]

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٣ ص١١٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) قالت دراسة: إن تدهور البيئة يمكن أن يدفع قرابة ٥٠ مليونا إلى النزوح عن مواطنهم بحلول عام ٢٠١٠ وإن العالم بحاجة لتعريف نوع جديد من اللجوء اسمه (اللاجئ البيئي). وأظهرت الدراسة التي أعدها معهد البيئة والأمن البشري التابع لجامعة الأمم المتحدة أن التصحر وارتفاع مستويات المياه في البحار والفيضانات والعواصف المرتبطة بتغير المناخ ربما تؤدي لنزوح مئات الملايين. وقدر أن نحو ٢٠ مليونا اضطروا ◄

◀ بالفعل للنزوح بسبب مشكلات مرتبطة بتدمير البيئة تراوحت بين تآكل الأراض الزراعية إلى تلوث إمدادات المياه.

وقالت المنظمة الدولية للهجرة في دراسة: إن التغيرات المناخية قد تتسبب في تشريد ما يصل إلى مليار شخص على مدى العقود الأربعة القادمة. وذكرت المنظمة الدولية للهجرة نطاقا واسعا من التصورات لأعداد من الأشخاص المتوقع تعرضهم للتشرد. وقال التقرير: "التقديرات رجحت أن ما بين ٢٥ مليونا إلى مليار شخص قد يتشردون بسبب التغيرات المناخية على مدى العقود الأربعة القادمة." لكنها أوضحت أن الحد الأدنى للتوقعات تم تجاوزه بالفعل. وتضاعف عدد الكوارث الطبيعية إلى أكثر من المثلين على مدى العشرين عاماً الماضية، وقالت المنظمة الدولية للهجرة: إن التصحر وتلوث المياه ومشاكل بيئية أخرى ستجعل المزيد من المناطق في العالم غير صالحة للسكنى مع تزايد الانبعاثات الغازية المسؤولة عن ارتفاع درجات الحرارة. وقال التقرير الذي شاركت فيه مؤسسة روكفيلر: "المزيد من التغيرات المناخية بالإضافة إلى زيادة متوقعة في درجات الحرارة عالميا من ٢ إلى ٥ درجات مئوية بحلول نهاية هذا القرن يمكن أن يكون لهما تأثير كبير على حركة الناس."

وأطلق التقرير على بعض المناطق "بؤر ساخنة في المستقبل" من المتوقع أن تنزح منها أعداد كبيرة من الناس بسبب الضغوط البيئية والمناخية. ومن بين هذه المناطق أفغانستان وبنجلادش وأغلب أمريكا الوسطى وأجزاء من غرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

ويعيش ٣٫٣ مليار شخص في الوقت الحاضر في المدن والمراكز الحضرية حول العالم، وبحلول عام ٢٠٣٠ من المتوقع أن يصل هذا الرقم إلى خمسة مليارات شخص. وسيحدث ٩٥ بالمائة من هذا النمو في الدول النامية. ومع ازدياد عدد سكان المدن يزداد أيضاً عدد الأشخاص الذين لا توجد لديهم مصادر مياه محسنة، حيث سيتضاعف عدد هؤلاء من ١٠٨ ملايين شخص عام ١٩٩٠ إلى ٢١٥ مليون شخص عام ٢٠١٠. وفي بيئات المدينة الكثيفة - وحتى في بيئات الأحياء الفقيرة الأكثر ازدحاماً - يمكن للأمراض المعدية أن تتحول بسرعة إلى أوبئة، مما يجعل عواقب المياه غير الآمنة وضعف خدمات الصرف الصحي أسوأ بكثير من المناطق الريفية. وبالإضافة ◀

كما أن (الشعوب) مسؤولة أيضاً.

وواضح أن إفساد البيئة يزيد الفقراء فقراً، كما يسبب تحول مجاميع كبيرة من الطبقة المتوسطة إلى الطبقة الفقيرة، إذ فساد البيئة يعد من أهم أسباب الأمراض، والأمراض هي من أهم أسباب

◀إلى التأثيرات الواضحة التي تظهر بسبب التوفر الضعيف للماء والصرف الصحي والخدمات الصحية (مرض إلتهاب ذات الرئة والملاريا والإسهال والسل وفيروس نقص المناعة المكتسب/الإيدز)، تؤدي ندرة الخدمات إلى استمرار الفاقة والفقر، إذ ينفق الفقراء في المدن نسبة أعلى من دخلهم على معالجة الأمراض وهم أكثر عرضة لفقدان الأجور وفقدان الأمن الوظيفي عند ما يضطرون للغياب عن العمل. وكل هذا يؤدي إلى إضعاف قدرتهم على التحمل والاستمرار، مما قد يبقي العائلة المتنقلة حبيسة دائرة مغلقة من الفقر المستمر.

وأشارت دراسة علمية إلى أنه قد تكون هناك علاقة بين ظاهرة "لانينا" المناخية والانتشار الوبائي لمرض الأنفلونزا، إذ اكتشف علماء فى الولايات المتحدة الأمريكية أن الانتشارات الوبائية الأربعة الأخيرة للأنفلونزا وقعت بعد أحداث ظاهرة لانينا المناخية التي تتسبب في جلب مياه باردة لسطح المحيط الهادئ في جهته الشرقية، ومن غير الواضح حتى الآن مدى الارتباط بحدوث ظاهرة لانينا، إلا أن الأبحاث الأخيرة أظهرت أن أنماط طيران بعض الطيور البرية وتوقفاتها أثناء رحلاتها وهجراتها اختلفت بين سنوات ظاهرتي النينو ولانينا المناخية، وقال البروفسور شامان "أفضل تقديراتنا هي وضع الطيور التي لا تختلط (تحت ظروف ظاهرة لانينا) وذلك سيسمح بحدوث إعادة تشكيل الجينات"، إلا أن حقيقة أن فترات ظاهرة "لانينا" الأخرى لم يتبعها انتشار أوبئة يشير إلى أن هناك عوامل أخرى يجب أن تكون مشتركة في ذلك، ويمثل وباء أنفلونزا الخنازير فى ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠ جزءاً من هذا النموذج، حيث يجب أن تكون هناك علاقة ما لتقاطع السلالات الفايروسية مع الطيور والخنازير كذلك، ومن المحتمل جداً أثناء هجرة الطيور البرية، أن تزور مزارع الدواجن والبط التى تعيش جنبا إلى جنب مع الخنازير خاصة فى البلدان النامية.

الفقر، لأن المرض:

أ: يسقط العامل عن العمل والإنتاج، فتحرم الأسرة من عائلها.

ب: ويضع تكاليف هائلة على أكتاف الأسرة، مما لا تستطيع حتى الأسر المتوسطة في كثير من الأحيان تحمل ذلك.

وفساد البيئة يضر بالإنتاج الزراعي أيضاً، مما ينعكس سلباً على الفقراء.

وللتفاصيل راجع (الفقه: البيئة) للإمام الشيرازي رحمه الله.

١١: لا للإسراف والتبذير

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[١].

وقال الإمام علي (عليه السلام): «التبذير عنوان الفاقة»[٢].

وقال عليه السلام: «من افتخر بالتبذير احتقر بالإفلاس»[٣].

وقال عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً»[٤].

وما أكثر التبذير في عالم اليوم؟

---

(١) سورة الإسراء: ٢٧.

(٢) غرر الحكم: ص٣٥٩.

(٣) غرر الحكم: ص٣٦٠.

(٤) نهج البلاغة: ص٤٧٤.

١٢: لا للغش والتطفيف

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[١].

وفي رواية:

«ما ظهر البخس في الميزان إلاّ وظهر فيهم الخسران والفقر»[٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[٣].

وهذا ما يقوم به الدول وبعض التجار الآن، وهو من أسباب الفقر لأن التطفيف في الميزان ينعكس سلباً على الطبقة محدودة الدخل بشكل مباشر.

وكما التطفيف، كذلك الغش فإنه يضغط على الفقراء مباشرة، وقد نهى الإمام الباقر (عليه السلام) هشام من أن يبيع السابري ـ وهو نوع قماش ثمين ـ في الظلال وقال (عليه السلام):

---

(١) سورة المطففين: ١ ـ ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٣٧٣.

(٣) سورة الأعراف: ٨٥.

«يا هشام إن البيع في الظلال غش والغش لا يحل»[1].

ومن إرشادات الإمام الصادق (عليه السلام): «ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل، ولا ترض للناس إلاّ بما ترضى لنفسك، وأعط الحق وخذه ولا تخن ولا تخف»[2].

وواضح أن عدم كتمان العيب وعدم غبن البسطاء، له أثر مباشر في تخفيف الضغط على الفقراء، وله أثر غير مباشر من حيث إشاعته الثقة بين الناس، مما ينعكس إيجاباً على العلاقات الاجتماعية، ويخفف بؤر التوتر والاضطراب الاجتماعي مما يوفر الأرضية لاقتصاد مستقر مزدهر، إضافة إلى أنه يدفع الجميع نحو الإتقان في الإنتاج ـ بدل الغبن والتطفيف ـ مما يحسن الجودة فتطول أعمار المنتجات فيقل الضغط على الفقراء لعدم اضطرارهم لشراء البضاعة من جديد بعد فترة قليلة نظراً لخرابها أو تعطلها أو ما أشبه.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٥.

١٣: لا لتزوير العملة

فإنه من أسباب الغلاء والفقر، لأن طباعة النقد والعملة أكثر من واقع الخلفية الاقتصادية الحقيقية له يعد من أسباب التضخم، ولذا نجد الإمام الكاظم (عليه السلام) نظر إلى دينار، فلما شاهد أنه مغشوش أخذه بيده ثم قطعه نصفين وقال:

«ألقه في البالوعة حتى لا يباع شيء فيه غش».

وكان في ذلك رسالة مهمة لكل من يقوم بعملية تزوير العملات.

١٤: لا لفرض الضرائب على الاستهلاك

وهذا خطأ فادح وقعت فيه حكومات عالم اليوم، بينما نجد أن الإسلام يضع الضرائب على الفائض من الأرباح، فإن الضريبة على الاستهلاك تضغط على الفقراء بشدة، وتزيدهم فقراً إلى فقر.

فإننا نجد في الدول الغربية أن الضريبة تجعل على كل بضاعة حيث إن كل ما يشترى من السوبر ماركت أو السوق فإن ضريبته

معه، مما يشكل أكبر العبء على الفقراء.[1]

أما ضرائب الإسلام، وهي الخمس والزكاة مثلاً، فلا تؤخذ إلاّ إذا فاض شيء عن احتياجات الشخص (من مأكل وملبس ومشرب ومركب ومسكن وزواج وسفر ونزهة على حسب شأنه وشبه ذلك) فيؤخذ منه الخمس بعد مرور سنة كاملة الربح[2] وبعد استثناء كافة المؤن والنفقات.

---

(١) ضريبة على القيمة المضافة هي ضريبة مركبة تفرض على فارق سعر التكلفة وسعر المبيع للسلع، وقد ظهرت للمرة الأولى سنة ١٩٥٤ في فرنسا... والضريبة على القيمة تستهدف القيمة المضافة عن كل عملية تجارية. وهي من الضرائب المركبة (الضرائب على الإنفاق العام للاستهلاك وهي تلك الرسوم المفروضة على رقم الأعمال) التي تفرض على جميع الأموال والخدمات المستهلكة محلية الصنع كانت أم مستوردة. وتنتمي هذه الضريبة إلى الضرائب غير المباشرة التي تتميز بخاصة ممنوحة السلطة العامة إذ تدفع من قبل أشخاص يعلمون جيداً بانهم لا يتحملونها بل يتحملها أشخاص لا يدلون بها. إلا أنها محط نزاع مع كثير من الحركات الشعبية والمنظمات الحقوقية لكونها عبئاً على صغار المنتجين والكسبة وطريقة لحصر أرباحهم وإنقاصها ومساعدة لكبريات الشركات ذات كميات الإنتاج الضخمة. (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

(٢) وقيل: على بدء الاستثمار والتجارة.

١٥: لا لإغراق الأسواق

وقد حرم الإسلام ذلك لأنه يسبب الأضرار بالاقتصاد الوطني، وهو يعدّ منافسة غير عادلة، ويسبب إغلاق المصانع وتسريح العمال، كما يسبب اضطرابات اجتماعية وسياسية، كما يؤدي إلى خفض الإنتاج الوطني.

لذلك أفتى الإمام الشيرازي رحمه الله في (الفقه: المرور)[1] بتحريمه، لقاعدة لا ضرر.

والإغراق هو أحد أهم أدوات الدول الاستعمارية لتحطيم الشعوب الناهضة وهي من أهم أضرار العولمة أيضاً.

---

(١) الفقه المرور: ص١٧٦ ـ ١٧٧.

ملحق

عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
إلى مالك الأشتر رحمه الله

مع شرح مستقى من كتاب (توضيح نهج البلاغة)

للمرجع الديني

آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي

(رضوان الله تعالى عليه)

كتابه عليه السلام إلى الأشتر النخعي

(ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي، لما ولاّه على مصر وأعمالها)..

(وهو أطول عهد) للإمام عليه السلام (وأجمع كتبه للمحاسن) والآداب والسياسات.

(بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، هذا ما أمر به عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه حين ولاّه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها):

أخلاق الحاكم

(أمره) علي عليه السلام (بتقوى اللّه، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه) القرآن الكريم.

(من فرائضه) الواجبة (وسننه) المستحبّة (التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها) والعمل بها (ولا يشقى إلاّ مع جحودها) أي إنكارها (وإضاعتها) بعدم العمل بها (وأن ينصر) الأشتر (اللّه) تعالى (سبحانه بقلبه) بالعزم على تنفيذ أوامره في البلاد والعباد (ويده)

بالتأديب والجهاد والكتابة، وما أشبه (ولسانه) بقول الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، (فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره) حيث قال سبحانه: ﴿إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ (وإعزاز من أعزّه).

مقياس الحاكم الصالح

(وأمره) عليّ عليه السّلام (أن يكسر نفسه من الشهوات) أي يذلّها فلا يعطيها ما تطلبه من الملذّات والمشتهيات (ويزعها) أي يكفّ نفسه عن المطامع والمطامح (عند الجمحات) أي إذا جمحت النفس وعصت إلاّ عن نيل الملذّات (فإن النّفس أمّارة بالسّوء) أي كثيرة الأمر بالأعمال السيّئة (إلاّ ما رحم اللّه).

(ثمّ اعلم يا مالك أنّي قد وجّهتك) أي أرسلتك (إلى بلاد قد جرت عليها دول) جمع دولة، وجرت بمعنى مضت (قبلك) وقبل دولتك (من عدل وجور) أي إن بعض تلك الدول كانت عادلة وبعضها كانت ظالمة (وأنّ النّاس ينظرون من أمورك) وكيف تعمل أيام حكومتك (في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك) فكنت تقول هذا حسن وهذا سيء، وهكذا ينظر النّاس إليك (ويقولون فيك) وفي تصرّفاتك (ما كنت تقول فيهم) من تحسين حسناتهم وتقبيح قبائحهم.

(وإنّما يستدلّ على الصّالحين) وأن أي الناس صالح وأيّهم ليس بصالح (بما يجرى اللّه لهم على ألسن عباده) فإن مدح الناس شخصا، كان دليلا على صلاحه (فليكن أحب الذّخائر) التي تدخرها (إليك، ذخيرة العمل الصالح) في مقابل ذخيرة الملوك والولاة للمال والجواهر (فاملك هواك) لئلاّ يردك موارد الهلكة.

(وشحّ بنفسك) أي أبخل بها فلا تبذلها (ممّا لا يحلّ لك) من الأعمال والأقوال والتّصرّفات. (فإنّ الشّح بالنّفس) بعدم صرفها في موارد الهلكة (الإنصاف منها فيما أحبت) بعدم التعدي (أو كرهت) بعدم التفريط، فإنّ الإنسان قد يحبّ شخصاً فيسرف في إكرامه، وقد يكره شخصا فيبخل حتّى بإكرامه اللائق به.

الحاكم والرعية

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية) حتى يكون حب الرعية داخلا في قلبك، وذلك فإنّ الإنسان بكثرة التفكر في أمر، يكون ذلك الأمر ملكة له (والمحبّة لهم واللطف بهم) بأن تكون لطيفاً في معاملتك معهم (ولا تكونّن عليهم سبُعاً ضاريا) أي تضرّهم (تغتنم أكلهم) والمراد هضمهم حقوقهم، والتصرّف في أموالهم بالاغتصاب.

(فإنّهم) أي النّاس (صنفان) أي قسمان: (إمّا أخ لك في

الدّين) إن كان مسلما كما قال سبحانه ﴿انّما المؤمنون اخوة﴾ (أو نظير لك في الخلق) فإنّ النّاس يتشابه بعضهم بعضا، فيما لم يكن مسلماً، (يفرط منهم الزلل) أي يسبق منهم الخطأ، (وتعرض لهم العلل) أي علّة الأعمال السّيئة فيسيؤون بسبب تلك العلل (ويؤتى على أيديهم) العمل القبيح (في العمد والخطأ) وهذا طبيعة الإنسان، إذ ليس معصوما، (فأعطهم من عفوك وصفحك) عن إساءتهم (مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه) بالنسبة إلى ذنوبك وآثامك، (فإنّك) يا مالك (فوقهم) أي أعلى مرتبة من الرعية (ووالي الأمر عليك) والمراد به نفسه الكريمة (فوقك) رتبة (واللّه) سبحانه (فوق من ولاّك) فاللازم ملاحظته سبحانه في أمره ونهيه، (وقد استكفاك) أي طلب سبحانه منك كفاية (أمرهم) بإنجاز طلباتهم والقيام بمصالحهم (وابتلاك بهم) أي اختبرك بسببهم حيث جعلك والياً عليهم.

الحاكم في مواجهة الله

(ولا تنصبن نفسك لحرب اللّه) أي مخالفة شريعته تعالى بالظلم والجور، فإن الوالي الجائر كالذي نصب نفسه للمحاربة. (فإنه لا يد لك بنقمته) أي ليس لك يد وقوة لدفع عذابه تعالى إذا أراد بك سوءاً (ولا غنى بك عن عفوه ورحمته).

(ولا تندمنّ على عفو) فإن عفوت عن مجرم أجرم إليك ثم عفوت عنه فلا تندم أبدا، إذ العفو أحسن عاقبة من الانتقام، (ولا تبجحنّ بعقوبة) أي لا تفرحنّ بسبب ما عاقبت به أحداً، فإنّ العقوبة شر عاقبة مهما كانت حقّا (ولا تسرعنّ إلى بادرة) وهى ما يظهر من الإنسان من قول أو فعل عند الغضب (وجدت منها مندوحة) أي مفراً ومخلصاً، بل فرّ من آثار الغضب حتى يهدأ.

(ولا تقولن إني مؤمر) قد أمرت من جانب الخليفة بكذا (آمر) لكم أيتها الرعية (فأطاع) أي فاللازم أن أطاع، بأن ترى نفسك فوقهم (فإنّ ذلك) أي جعل الإنسان نفسه بهذه المنزلة الموجبة للكبر (إدغال في القلب) أي إدخال للفساد فيه، إذ الشخص الذي يفكر هكذا تفكير إذا عملت الرعية خلاف هواه عاقب بغير حق (ومنهكة للدين) أي مضعفة لدين الإنسان، إذ ذلك يوجب الظلم والعدوان والكبر والترفع (وتقرب من الغير) أي الاغترار بالسلطة، والوقوع في تطوّرات غير محمودة.

(وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة) أي إذا سبب السلطة لك كبراً وعظمةً (ومخيلة) أي الخيلاء والعجب (فانظر) لكسر جماح نفسك وإخراج الكبر من قلبك (إلى عظم ملك اللّه فوقك) فإنّ النفس إذا نظرت إلى أعظم منها صغرت، واستصغرت ما هي فيه (وقدرته) سبحانه منك (على ما لا تقدر عليه من

نفسك) يعني إنه تعالى قادر على التصرف في نفسك بالإفقار والأمراض والإماتة وما أشبه مما لا تقدر أنت على مثل ذلك بالنسبة إلى نفسك.

(فإنّ ذلك) النظر والتفكر في عظمته سبحانه (يطامن إليك) أي يخفض (من طماحك) أي ارتفاعك وكبرك (ويكف عنك) أي يمنع (من غربك) أي حدة تعظيمك لنفسك (ويفي إليك) أي يرجع (بما عزب عنك) أي غاب (من عقلك) فإن من ذهول العقل أن يرى الإنسان نفسه عظيما، وهي صغيرة حقيرة.

(إيّاك) أي احذر يا مالك (ومساماة اللّه) أي مباراته ومقابلته في السمو والعلو (في عظمته) بأن ترى نفسك عظيما، فإن ذلك مقابلة للّه في عظمته (والتشبه به في جبروته) بأن تكون جبّارا، كما هو سبحانه جبّار، (فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال) أي متكبر.

انتهاج العدل والإنصاف

(أنصف الله) بالإتيان بما أمر (وأنصف الناس) بإعطاء حقوقهم (من نفسك ومن خاصّة أهلك) فلا تذرهم يتركون أوامره تعالى، أو يضيعون حقوق الناس (ومن لك فيه هوى من رعيتك) أي لك ميل إليه من حاشيتك وأصحابك، فإنّ الغالب أن أهل السلطان

وحاشيته لا يهتمون بفرائض الله، ولا بحقوق الناس حيث يرون أنفسهم في غنى، وأن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى. (فإنك إن لا تفعل) الإنصاف (تظلم) الناس بنفسك أو بحاشيتك وأهلك حيث أطلقت سراحهم يعملون ما يشاؤون بالناس (ومن ظلم عباد اللّه كان اللّه خصمه دون عباده) فإنّ اللّه تعالى يتولى رد المظالم (ومن خاصمه اللّه أدحض حجّته) أي أبطلها، لأنه سبحانه عالم بالواقعيات، فلا يعبر عليه الكذب والتزوير.

(وكان) هذا الظالم (للّه حرباً) أي محارباً (حتى ينزع) أي يقلع عن الظلم (أو يتوب) فيما لو تمت المظلمة ولا محل للإنزاع منها (وليس شيء أدعى) أي أكثر دعوة وتسبيباً (إلى تغيير نعمة اللّه) بذهابها عن الإنسان (وتعجيل نقمته) أي نكاله وعقابه على الإنسان (من إقامة على الظلم) أي من أن يقيم الإنسان ويستمر في ظلم الناس.

(فإنّ اللّه سميع دعوة المضطهدين) أي يسمع شكاية المظلومين ودعاءهم لزوال ملك الظالم (وهو للظالمين بالمرصاد) أي بمحل الرصد والترقب يراقبهم لأخذهم (وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق) أي أعدلها من جهة كونه حقّاً، مثلا أحب البذل ما لم يكن فيه إفراط ولا تفريط، وإن كانا جائزين في أنفسهما، لعدم كونهما مضرّين (وأعمّها في العدل) بأن يشمل عدلها النّاس،

فإذا أراد بذل ألف دينار، أعطاها لألف شخص مثلا، لا لمائة، وإن كان كلّ الأمرين جائزاً (وأجمعها لرضا الرعية) بأن توجب لرضى جميع الرعية لا بعضهم دون بعض (فإن سخط العامة يجحف) أي يذهب (برضا الخاصة) إذ العامة يوجبون أن يسخط الخاصة على الإنسان أيضا، إذا أكثروا الشكاوى عندهم، لأنّ الناس مرتبطون بعضهم ببعض. (وإن سخط الخاصة) أي بعض الناس، الذين يريدون الزيادة من حقهم على حساب سائر الناس (يغتفر) ولا يؤثر (مع رضا العامة). ولذا يجب على الإنسان أن يلاحظ رضا العامة، وإن سخط بعض الخاصة.

الحواشي والمنتفعون

(وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة) أي ما يتطلّب ويريد (في الرخاء، وأقل معونة) أي عوناً وإغاثة (له في البلاء) والشدة (وأكره للإنصاف) إذا أراد الوالي إعطاء حقّه، لا أكثر (وأسأل بالإلحاف) أي الإلحاح في السؤال (وأقل شكراً عند الإعطاء) أي إعطائه المال والمنصب وما أشبه (وأبطأ عذراً عند المنع) أي لا يقبل عذر الوالي إذا منعه عن العطية (وأضعف صبراً عند ملمات الدهر) أي حوادثه التي تلمّ بالإنسان (من أهل الخاصة) أي أهل الخصوصية والقرب بالإنسان، وهم الحاشية، فإن الخاصة

يعدون أنفسهم من الطبقة الرفيعة، والطبقات الرفيعة غالباً يبتلون بهذه النقائص، لأنهم يرون لأنفسهم امتيازات موهومة. (وإنّما عماد الدين) الذين يقومون بأمره وسائر شؤونه (وجماع المسلمين) أي جماعتهم (والعدة) التي يهيّؤها الوالي (للأعداء) فيما إذا صارت محاربة (العامة من الأمة) لأنهم حيث لا يرون لأنفسهم امتيازات يعملون في جميع المجالات (فليكن صغوك) أي إصغائك (لهم) بالاختلاط معهم وقضاء حوائجهم.

(وميلك معهم) فلا تحجبهم ولا تصرف نفسك عنهم.

الوشاة والجواسيس

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم) أي أبغضهم عندك (أطلبهم لمعايب النّاس) أي أشدّهم طلباً وتفحّصاً وبياناً لعيوب النّاس (فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها).

(فلا تكشفنّ) أي لا تفحصنّ (عمّا غاب عنك منها) أي من المعائب (فإنّما عليك تطهير ما ظهر) فانّ اللّه سبحانه نهى عن التّجسّس ولم يأمر بالتفحّص عمّا لا يعلم، (واللّه يحكم على ما غاب عنك) فدعه للّه تعالى (فاستر العورة) إلى العيب (ما استطعت يستر اللّه منك) عيبك من (ما تحب ستره من رعيتك) أي من عيوبك التي تحبّ أن لا يعرفها الرّعية.

(أطلق عن النّاس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر) أي كل عداوة، (وتغاب) أي كن كالغائب في عدم المعرفة (عن كل ما لا يصح لك) من دعوة، أو عقوبة، أو إعطاء، أو ما أشبه، فاجعل نفسك كأنّك لم تفهمه ولم تحضر الأمر (ولا تعجلن إلى تصديق ساع) يسعى بذكر معايب النّاس وجرائمهم لتنزل عقوبتك عليهم (فإنّ السّاعي غاش) يغش ويكذب ويوجب الفساد (وإن تشبه بالنّاصحين) لك.

المستشارون

(ولا تدخلن في مشورتك) الشور الفحص عن الحق بسبب تصفح الآراء والأفكار (بخيلاً يعدل بك عن الفضل) فيقول لك لا تتفضل ولا تعط، خوفاً من الفقر أو لعدم استحقاق الآخذ أو ما أشبه (ويعدك الفقر) إن أنت أعطيت ما عندك (ولا جباناً يضعفك عن الأمور) لأنه يخاف من مواجهة المشكلات. (ولا حريصا) على الملك والمال وما أشبه (يزين لك الشره) هو الإفراط في الملذّات (بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز) أي طباع (شتى) متفرقة في الإنسان (يجمعها سوء الظن بالله).

مواصفات الوزراء

(إن شر وزرائك) الوزير هو المؤازر للعمل (من كان للأشرار قبلك وزيراً) لأنه مكروه عند الناس، منحرف النفس (ومن شركهم في الآثام) والمعاصي (فلا يكوننّ) أمثال هذا الوزير (لك بطانة) أي وزيراً وخاصة لك (فإنهم أعوان الأثمة) جمع آثم أي فاعل الإثم، فإن من اعتاد على الإثم يعين الآثمين. (وإخوان الظلمة) جمع ظالم، (وأنت) يا مالك (واجد) أي تجد (منهم) أي بدل هؤلاء الوزراء (خير الخلف) فإن البلاد لا تخلو عن الحكماء المعتدلين (ممن له مثل آرائهم) الصائبة (ونفاذهم) في الأمور، بمعرفة كيفية العمل، والإتيان بالفعل فعلا (وليس عليه مثل آصارهم) جمع إصر، وهو : الذنب والحمل الثقيل (وأوزارهم) جمع وزر، بمعنى الإثم. (ممن لم يعاون ظالما على ظلمه) حتى يكون له سابق سيء عند الله وعند النّاس (ولا آثماً على إثمه) وإن لم يكن الإثم ظلماً للغير، كشرب الخمر وما أشبه (أولئك) الوزراء الذين ليس لهم سابقة سوء (أخف عليك مؤنة) فإنهم لم يعتادوا أخذ الأموال من الولاة، حتى يريدوا مثلها منك (وأحسن لك معونة) لأنهم لم يترهلوا في الحكم حتى يثقل عليهم العمل (وأحنى عليك عطفا) أي أكثر حنوا وميلا وتعطفا عليك، لأنهم يرون أنك ولي نعمتهم.

(وأقل لغيرك ألفا) أي ألفة ومحبة، إذ لم يسبق لهم حكم حتى ألفوا الناس (فاتخذ أولئك) الجدد من الوزراء (خاصة لخلواتك) تخلو بهم للاستشارة (وحفلاتك) إذا أردت أن تحتفل بشيء، والمراد اجتماعاتك بالناس للأعياد وأشباه ذلك (ثم ليكن آثرهم عندك) أي أفضلهم لديك الذي تقدمه على غيره (أقولهم بمرّ الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره اللّه لأوليائه) كصرف العمر في البطالة، وما أشبه، بأن يكون ذلك الوزير لا يساعدك على مثل هذا الأمر، وإنّما يساعدك في الأمور الحسنة (واقعا ذلك) المكروه للّه (من هواك حيث وقع) أي وإن كان ذلك الأمر من أشد مرغوباتك، (ألصق) أي اقترب، يا مالك (بأهل الورع والصّدق، ثمّ رضهم) أي عوّدهم، من الرّياضة (على أن لا يطروك) أي لا يمدحوك (ولا يبجحوك) أي : لا يفرحوك (بباطل لم تفعله) بأن يقولوا فعل الوالي كذا، والحال أنّك لم تفعله، وإنّما فعله غيرك (فإنّ كثرة الإطراء) والمدح (تحدث) في الممدوح (الزّهو) أي الفخر والعجب بالنّفس (وتدني) أي تقرب الممدوح (من العزّة) أي الكبر والاعتزاز، وكلّ ذلك رذيلة.

(ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء) أي متساويين فتحترم المسيء كما تحترم المحسن (فإن في ذلك تزهيداً) وتنفيراً (لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على

الإساءة، وألزم كلا منهم) أي من المحسنين والمسيئين (ما ألزم نفسه) بإكرام المحسن، وإهانة المسيء.

الإحسان للناس

(واعلم أنه ليس شيء بأدعى) أي بأكثر طلب ودعوة (إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم) فإذا أحسن إليهم أحبّهم، لأنه أمن منهم ووثق بمحبتهم له فيحبّهم، (وتخفيفه المؤنات) أي الصعوبات (عليهم، وترك استكراهه) أي إكراهه (إياهم على ما ليس له قبلهم) أي عندهم، (فليكن منك) يا مالك (في ذلك) الذي ذكرت (أمر يجتمع لك به) أي بسببه (حسن الظن) من رعيتك إليك، حتى يظنوا أنك لا تريد إلاّ خيرهم ولا تحمّلهم أمراً شاقا، فإذا فعلت ذلك (يقطع عنك) أي يزيل عنك (نصباً) وتعباً (طويلا) إذ الرعية إذا أساؤوا الظن بالوالي، أوجدوا له في كل يوم مشكلة، ولم يعينوه في أموره، (وإن أحق من حسن ظنك به لمن بلائك عنده) أي امتحانك له، (وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلائك عنده) فاللازم أن يجعل الإنسان ميزان حسن الظن وسوء الظن مقادير الناس في الأعمال السابقة، لا أن يجعل الميزان مقادير مدحهم وذمهم للوالي، يطرد الناقد، ويقرّب المطري ـ كما هي العادة عند الإغرار من أصحاب السلطة ـ.

(ولا تنقص سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة) أي السابقون منهم، فإن الولاة كثيراً يأخذهم الكسل والترهل فيتركوا بعض السنن استثقالا، ويستمر الأمر على ذلك حتى تموت تلك السنة بين الناس (واجتمعت بها) أي بتلك السنة (الألفة) بين الناس (وصلحت عليها الرعية).

(ولا تحدثن سنة) أي طريقة جديدة (تضر بشيء من ماضي تلك السنن) فإذا صرفوا الناس نشاطهم في هذه السنة الجديدة، لم يبق لهم نشاط لصرفه في السنة القديمة، كان يسن مثلاً زيارة الحسين عليه السلام يوم العشرين من شعبان بمناسبة ــ وإن أعلن للناس أنه من باب مطلق الزيارة لا من باب زيارة خاصة ــ فلا يأتي الناس إلى الزيارة في النصف منه (فيكون الأجر لمن سنها) أي سنّ تلك السنة السابقة، كالأئمة عليهم السلام، (والوزر عليك بما نقضت منها) حيث صارت طريقتك موجبة لترك تلك السنة.

(وأكثر) يا مالك (مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك).

طبقات الرعية

(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض) لاحتياج كل طبقة إلى سائر الطبقات:

(فمنها جنود الله) أي الجيش المحافظون للبلاد.

(ومنها كتاب العامة والخاصة) كتّاب جمع كاتب، وكتاب العامة هم الذين يكتبون لعامة الناس، كالخراج والمظالم، وكتاب الخاصة هم الذين يكتبون أوامر الوالي بالنسبة إلى العمّال نصبهم وعزلهم وأخبار الأعداء وما أشبه ذلك ممن لا يرتبطون بعامة الناس، وإنّما هم من خواص الوالي وأهل سره.

(ومنها قضاة العدل) أي القاضون بين الناس بالعدل.

(ومنها عمّال الإنصاف والرفق) الذين يعملون للوالي، بإحضار الناس وتبليغهم، ومن يودعهم الوالي الأموال، من لهم الإنصاف في الأمور، ويعالجون المشاكل بكل رفق ولين.

(ومنها أهل الجزية) اليهود والنصارى والمجوس الذين يؤدون قدراً من أموالهم ـ بعنوان الجزية ـ في مقابل حماية الدولة لهم (والخراج) الذين يدفعون إيجار الأراضي التي هي للدولة لكونها مفتوحة عنوة، ممن استأجروهم لمصالحهم الزراعية وما أشبه (من أهل الذمة ومسلمة النّاس) أي الذين استسلموا ودخلوا في طاعة

الدولة.

(ومنها التجّار وأهل الصّناعات).

(ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة) أي الفقراء، من الذين لا يدخلون تحت تلك العناوين.

(وكل) من أصناف هذه الطبقات (قد سمّى اللّه) أي عين سبحانه (له سهمه) أي نصيبه وحكمه (ووضع على حده) أي شأنه (فريضة) أي بيّن الواجب له وعليه (في كتابه) القرآن الحكيم (أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عهداً منه) صلى اللّه عليه وآله وسلم (عندنا محفوظا) فنعلم حكمه ببيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

* الجنود

(فالجنود ـ بإذن اللّه ـ حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية) وتستقيم (إلاّ بهم) إذ لولا الجند لثار كل طامع، ونهب كل لص، وهكذا.

(ثم لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج) إذ الكافل بشؤون الجيش من السلاح والعتاد وما أشبه وجمعهم تحت لواء الطاعة هو المال (الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه) أي على ذلك الخراج (فيما يصلحهم) من السلاح والزاد وما أشبه (ويكون من وراء حاجتهم).

* القضاة والعمال والكتّاب

(ثم لا قوام لهذين الصنفين) الجنود وأهل الخراج (إلا بالصنف الثالث من القضاة) ليحل مشاكلهم وإلاّ وقع التصادم وفسد النظام (والعمال) الذين يجمعون الخراج (والكتّاب) الذين يكتبون المرافعات، ومقادير الخراج وما أشبه (لما يحكمون من المعاقد) جمع معقد بمعنى العقد في البيع والشراء وسائر المعاملات كالقضاة، (ويجمعون من المنافع) وهم العمال الذين يجمعون الخراج وسائر أموال الدولة (ويؤتمنون عليه) أي يكونون أمناء لشؤون الدولة (من خواص الأمور وعوامها) بالكتابة والإنشاء.

* التجار وذوو الصناعات

(ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم) أي إنهم لأجل مرافقهم يقيمون الأسواق، (و) ما (يكفونهم) أي يكفى أصحاب الصناعات سائر الناس (من الترفق) والعمل (بأيديهم) في إنتاج المصنوعات (ما لا يبلغه رفق غيرهم) لأن غيرهم لا يعرف كيفية الصنعة.

* الطبقة السفلى

(ثم الطبقة السفلى)، وسمي بهذا، لأنه يأكل ولا يعمل لعدم قدرته على العمل. (من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق) أي يجب (رفدهم) أي مساعدتهم (ومعونتهم) أي إعطاء العون لهم (وفي) خلق اللّه سبحانه (لكل) من هذه الطبقات المتقدمة (سعة) إذ قد هيأ في الأرض كل ما يحتاج إليه الإنسان (ولكل) من هذه الطبقات (على الوالي حق بقدر ما يصلحه) ويهيّؤ لأمره، إذ الوالي هو المنظم العام للدولة، (وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه اللّه من ذلك) الحق الذي للطبقات عليه (إلاّ باهتمام) بأمور الناس (والاستعانة باللّه) ليعينه فيما كلفه حتى يقدر على القيام به (وتوطين نفسه) أي تحضير ذاته (على لزوم الحق والصبر عليه) أي على الحق (فيما خف عليه) بأن سهل فعله (أو ثقل) عليه وصعب الإتيان به.

صفات المسؤولين:

(فوَلِّ من جنودك) أي اجعلهم والياً على سائرهم (أنصحهم في نفسك) أي تطمئن نفسك بكونه أنصح من سواه (للّه ولرسوله) بأن يطيع الكتاب والسنة (ولإمامك) أي نفسه الكريمة (وأنقاهم) أي

أطهرهم (جيباً) جيب القميص طوقه في طرف العنق، والمراد طهارة الصدر والقلب، وعدم إتيانه بلوث يلزم عنقه (وأفضلهم حلماً) بأن يكون أحلمهم (ممّن يبطئ عن الغضب) فإذا غضب لم ينفذ غضبه، (ويستريح إلى العذر) فإذا أعتذر إليه المسيء قبل عذره، وجعله راحة لنفسه (ويرأف بالضعفاء) فيقضي حوائجهم (وينبو) أي يشتد ويعلو (على الأقوياء) فيوقفهم عند حدهم، حتى لا يظلموا الضعفاء (ومن لا يثيره) ولا يهيجه (العنف) والشدة في الأمر، لأنّ نفسه ساكنة هادئة، (ولا يقعد به الضعف) بل ينفذ الأمر الصالح، وإن كان في حالة ضعف ووهن.

(ثم ألصق) في تولية الجند (بذوي المروءات) المروة الرجولة (الأحساب) أي أصحاب الحسب والفضيلة (وأهل البيوتات الصالحة) أي المعروفة بالصلاح، (والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة) الذين يعينون الناس، ويغلبون على الأمور الصعاب، فإن النجدة بمعنى الإعانة والغلبة (والشجاعة والسخاء والسماحة) الذين يسمحون في الأمور لسعة صدرهم، ولا يضيقون الأشياء.

(فإنهم) أي المتصفين بهذه الصفات (جماع من الكرم) أي مجموع منه (وشعب من العرف) جمع شعبة، والعرف بمعنى المعروف.

(ثم تفقد) أي تفحص (من أمورهم) وحاجاتهم (ما يتفقد الوالدان من ولدهما) من القيام بجميع شؤونهم، (ولا يتفاقمنّ) أي لا يعظمنّ (في نفسك شيء قويتهم) أي الجنود، أي ولاة الجنود المتّصفين بتلك الصّفات (به) والمعنى كلّ ما قويت به مثل هذا الوالي لا يعظم عندك، فتقول في نفسك: ما صرفته على مثله عظيم وأكثر من استحقاقه، فإنّ كلّ ما يصرف لمثل هذا الوالي يكون بحقّ واستحقاق. (ولا تحقّرن لطفا) وإحسانا (تعاهدتهم به) فلا تترك شيئاً من لطفك لأنه حقير غير مهم، بل كلّ لطف (وإن قلّ) يقع من قلوبهم موقعاً حسناً (فإنّه) أي ذلك اللّطف (داعية لهم إلى بذل النّصيحة) أي لأن يبذلوا النّصيحة (لك) في حفظ الجند وحسن الخدمة (وحسن الظنّ بك) بأنك قريب منهم عاطف عليهم، ولذا تلطف بهم.

(ولا تدع تفقّد) أي التفحّص عن (لطيف أمورهم) أي صغارها (اتّكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً) في قلوبهم (ينتفعون به) ويوجب ذلك شدّة حسن ظنّهم بك، (وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه) فلا بد للوالي من الفحص عن العظيم والحقير بما يحتاجون إليه.

أفضل الرؤساء

(وليكن آثر رؤوس جندك عندك) آثرهم أي أفضلهم عندك وأعلاهم رتبة في نظرك، ورؤوس الجند زعماؤه (من واساهم في معونته) بأن ساعدهم بمعونته لهم كأنه أحدهم (وأفضل عليهم) أي جاد عليهم (من جدته) أي من غناه وماله، والمراد ما بيده من أرزاق الجند (بما يسعهم) أي بالقدر الذي يكفيهم (ويسع من ورائهم) أي أهلهم الذين بقوا في بلادهم وتركوهم في ديارهم (من خلوف أهليهم) جمع خلف، وهو من يبقى في الحيّ من النساء والأطفال والعجزة بعد سفر الرجال (حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو) فإنهم إذا كفوا مؤنة أنفسهم ومؤنة أهليهم ومؤنة حكومتهم لم يبق لهم همّ إلاّ همّ جهاد الأعداء، وذلك يوجب نجاح الدولة، وهيبته في أعين الأعداء.

(فإن عطفك) وميلك يا مالك (عليهم) أي على الرؤساء أو على الجند عامة (يعطف قلوبهم عليك) ويكثر ولاءهم لك.

(وإن أفضل قرة عين الولاة) الموجب لفرحهم واطمينانهم الذي هو سبب استقرار العين وعدم اضطرابها، كما في عين الخائف الذي يريد أن يجد ملجأ (استقامة العدل في البلاد) بأن يأمن كل إنسان لعدالة الحكومة وعدم تعدي الرعية بعضهم على بعض. (وظهور مودة الرعية) أي حبهم للدولة (وأنه لا تظهر مودتهم)

وحبهم للولاة (ولا تصح نصيحتهم) أي لا ينصحون للوالي نصيحة صحيحة (إلاّ بحيطتهم) أي احتياطهم وحفظهم (على ولاة الأمور) أي حبّ الرعية لبقاء الولاة، وأخذهم التدبير لعدم ظهور ثورة عليهم، (وقلة استثقال دولتهم) بأن لا يستثقل الرعية الدولة ويروها ثقيلة عليهم يرجون زوالها، (وترك استبطاء انقطاع مدتهم) بأن يعدوا زمن دولتهم قصيرا ويريدوا لها الطول، فلا يرون أن انقطاع مدّتهم قد طال فيستبطوه.

(فافسح) أي وسّع يا مالك (في آمالهم) أي آمال الرعية (وواصل في حسن الثناء عليهم) بأن تثني عليهم دائما بما يستحقّون من الثّناء والإطراء (وتعديد ما أبلي ذوو البلاء منهم) بأن تعدّ صنائع أعمال الذين قاموا بالأعمال العظيمة، فإن ذلك يشجع الناس على الإقدام، (فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم) وما أتوا به (تهز الشجاع) أي تحركه للإقدام (وتحرض) أي تحث (الناكل) أي المتأخّر المتقاعد، ليتقدم ويعمل (إن شاء اللّه) تعالى.

(ثم اعرف لكل امرئ ما أبلي) من البلاء بمعنى الامتحان، أي بما عمل من الصّنائع الجليلة (ولا تضيفنّ بلاء امرئ) أي لا تنسبنّ أعمال كلّ شخص (إلى غيره) فإنه ظلم له وكذب (ولا تقصّرن به دون غاية بلائه) أي لا تعطه من الجزاء أقل من استحقاقه (ولا يدعونك شرف امرئ) وعزّ مقامه (إلى أن تعظم من بلائه) وعمله

(ما كان صغيراً) فتطويه أكثر من استحقاقه وتجزيه بأكثر من جزائه.

(ولا) يدعونّك (ضعة امرئ) وعدم رفعة مقامه (إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما) كما جرت عادة الناس بذلك فإنهم يمدحون العظماء بأعمال تافهة ولا يمدحون الأصاغر ولو بأكابر الأعمال.

(واردد إلى اللّه والرسول) أي: إلى الكتاب والسنة (ما يضلعك) أي يشكل عليك (من الخطوب) أي الأمور العظيمة في السلم والحرب وما أشبه، (و) ما (يشتبه عليك من الأمور) فلا تدري ما ذا تصنع (فقد قال اللّه تعالى لقوم أحبّ إرشادهم: يا أيّها الَّذين آمنوا، أطيعوا اللَّه) باتباع الكتاب (وأطيعوا الرسول) باتباع السنة (وأولي الأمر منكم) أي أصحاب الخلافة، وهم الأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام (فإن تنازعتم في شيء) من الأحكام (فردّوه إلى اللّه والرسول) بالرجوع إلى الكتاب والسنة لترون أي جانب من الجانبين عليه دليل شرعي.

(فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه) أي نصّه الصريح الذي ليس متشابهاً.

(والرد إلى الرسول ﷺ الأخذ بسنّته الجامعة) التي أجمعت الأمة على أنها وردت من الرسول (غير المفرّقة).

(ثمّ اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيتك) وهذا انتقال من الحكم في الجند إلى الكلام في شؤون القاضي والقضاء. (في نفسك) بأن تطمئنّ به (ممّن لا تضيق به الأمور) فيضجر من القضايا والأحكام (ولا تمحكه) أي لا تغضبه (الخصوم) أي المترافعون (ولا يتمادى) أي لا يستمرّ (في الزلّة) أي السقطة في الخطأ، (ولا يحصر) أي لا يضيق صدره (من الفيء إلى الحق) أي الرجوع إليه (إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع) فيترك الحق لطمع رشوة أو جاه أو ما أشبه (ولا يكتفي بأدنى فهم) للأحكام والقضايا (دون أقصاه) بالتأمل والغور والتحقيق (وأوقفهم) أي أكثرهم وقوفاً (في الشّبهات) أي الأحكام والقضايا المشتبهة، (وآخذهم بالحجج) أي أكثرهم اعتناء وأخذاً بالأدلة التي يأتي بها الخصوم لدى المحاكمة (وأقلهم تبرما) وضجراً (بمراجعة الخصم) فإذا أكثر الخصم من مراجعته لا يتبرم ولا يضجر (وأصبرهم على تكشف الأمور) فلا يعجل في الحكم، بل يلطف ويصبر حتى يظهر الأمر الذي يريد أن يحكم فيه (وأصرمهم) أي أكثرهم قطعاً للخصومة وبياناً لمرّ الحق (عند اتضاح الحكم) أي وضوحه (ممّن لا يزدهيه) أي لا يستخفه فرحا (إطراءً) أي ثناءً حتى إذا ثنى عليه مال إلى جانب المثنى. (ولا يستميله إغراءً) حتى إذا أغراه أحد بالمال أو نحوه مال إلى جانبه،

(وأولئك) المتّصفون بهذه الصفات (قليل) لكن لا بد للوالي من الفحص عنهم حتّى يجدهم ويستقضيهم.

(ثمّ أكثر) يا مالك (تعاهد قضائه) أي تتبعّه في أحكامه حتى يعرف أنك مراقب عليه، فلا يفلت في الحكم بالباطل، خوفاً منك.

(وأفسح له في البذل) أي وسع عليه في العطاء (ما يزيل علّته) أي حاجته حتى لا ينظر إلى أموال الناس، ولا يحتاج إلى الرشوة وما أشبه (وتقل معه) أي مع بذلك (حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك) بأن تعظمه وتوقّره (ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك) حتى يكون مهيباً عند الناس وينفذ حكمه فوراً. (وليأمن بذلك) الذي أعطيته من المنزلة (اغتيال الرجال له) أي وشايتهم له (عندك) فإنه إذا خاف أحداً لا بد وأن يخضع له، وإذا خضع لشخص لا يتمكن من الحكم عليه أورد وساطته، وبذلك يفسد الحكم.

(فانظر في ذلك) الذي ذكرت من أوصاف القاضي وكيفية معاملتك له (نظراً بليغاً) بالاهتمام بما ذكرت (فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار) في زمن عثمان حيث كان الولاة والحكام يعملون بالأهواء (يعمل فيه بالهوى) والميول النفسية (وتطلب به الدنيا) لا الآخرة.

صفات الحكام والولاة

(ثم انظر) يا مالك (في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة) المحاباة الإعطاء مجانا، والأثرة الإعطاء ترجيحا لأحد على أحد بدون رجحان. (فإنهم) أي الولاة (جماع) أي مجمع (من شعب الجور والخيانة) إذ الوالي معرض لكل ذلك فإذا لم يمتحن وأنيط به العمل وكان غير نقي الباطن تناول أنواع الظلم والخيانة بالأمة.

(وتوخَّ) أي تحر واطلب (منهم) أي من العمال (أهل التجربة) الذين جربوا الأمور فعرفوها (والحياء) فإن الحيي يستحي من الظلم والخيانة وما أشبه (من أهل البيوتات الصالحة) المعروفة بالصلاح. (والقدم في الإسلام) أي من له خطوة سابقة على غيره في الخدمة بالإسلام، (فإنهم أكرم أخلاقاً) لتربية الإسلام لهم (وأصح إعراضا) لم يختلط عرضهم بما لا يعرف كما هو كذلك بالنسبة إلى غير أهل البيوتات، (وأقل في المطامع إشرافا) لأن حياءهم وتجربتهم يوجبان التنزه عن المطامع، (وأبلغ في عواقب الأمور نظراً) لما عركتهم التجارب وعرفوا الأمثال والتقلبات.

(ثم أسبغ) أي أوسع (عليهم الأرزاق) بإعطائهم مقدار حاجتهم في رفاه، (فإنّ ذلك) الإسباغ (قوة لهم على استصلاح أنفسهم) ومن صلح حاله لا يفكر إلاّ في عمله، (وغنى لهم عن

تناول ما تحت أيديهم) فلا يظلمون الناس بأخذ أموالهم، ولا بيت المال بأكل ما فيه من حقوق المسلمين. (وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا) أي خانوا (أمانتك) في عملهم أو بيت المال الذي تحت أيديهم.

مراقبة الحكام والولاة

(ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون) أي الجواسيس (من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السّر) والخفيّة (لأمورهم) أي أمور العمّال (حدوة) أي سوق وحث (لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية) لأنهم يخافون أن تعزلهم إذا لم يستعملوا ذلك. (وتحفظ من الأعوان) أي احفظ مثل هؤلاء الأعوان الذين هم عيونك على العمال (فإن أحد منهم) أي من العمال (بسط يده إلى خيانة) بالنسبة إلى الدولة أو الأمة (اجتمعت بها) أي بتلك الخيانة (عليه) أي على ذلك العامل الخائن (عندك أخبار عيونك) بأن أجمع جميع عيونك على أنه خان تلك الخيانة (اكتفيت بذلك) الاجتماع في إخبار العيون (شاهداً) على ذلك العامل (فبسطت عليه العقوبة في بدنه) بالحد والتعزير. (وأخذته) أي عاقبته (بما أصاب من عمله) المحرّم عليه (ثم نصبته بمقام المذلّة) بأن أذللته أمام النّاس (ووسمته بالخيانة) أي علمته عند الناس بأنّه خائن (وقلدته

عار التهمة) بأنه متهم كأنّه قلادة في عنقه، فإنّ ذلك يوجب اعتبار سائر العمّال وحذرهم من أن يصابوا بما أصيب.

(وتفقّد أمر الخراج) أي افحص عنه (بما يصلح أهله) أي الذين يدفعون الخراج فأصلح أمرهم حتى يتمكنوا من إعطائه إعطاءً حسناً (فإن في صلاحه) أي الخراج (وصلاحهم) أي الذين يدفعونه (صلاحاً لمن سواهم) من الطبقات (ولا صلاح لمن سواهم) أي سوى أهل الخراج (إلاّ بهم) وذلك (لأنّ النّاس كلهم عيال على الخراج وأهله) إذ لا تنتظم أمور الناس إلاّ بقوّة الدولة، والدولة لا تقوى إلاّ بالمال.

عمارة الأرض وانتهاج العدل

(وليكن نظرك في عمارة الأرض) بالزرع والضرع والبناء وما أشبه (أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج) أي في جلبه وجمعه من النّاس (لأنّ ذلك) الخراج (لا يدرك إلاّ بالعمارة) إذ الأرباح تتوقف على العمران (ومن طلب الخراج بغير عمارة) سابقة للأرض (أخرب البلاد وأهلك العباد) لأنه أجبر الناس على بيع أمتعتهم وأكثر في تضعيفهم مما يهلكون بسببه جوعاً ومرضاً، ولا يقدرون على العمارة فلا تعمر البلاد بل تخرب (ولم يستقم أمره إلاّ قليلا) إذ النّاس يدفعونه حتّى يسقط عن الحكم ويأتي من يقوم بشؤونهم

(فإن شكوا) أي أهل الخراج (ثقلا) في كثرة الخراج (أو علة) كالجراد (أو انقطاع شرب) هو الماء الذي يأتي في النهر (أو) انقطاع (بالة) أي ما يبل الأرض من المطر فيما يسقى بالمطر (أو إحالة أرض) لما فيها من البذر والزرع إلى الفساد بسبب أنه (اغتمرها) أي عمها (غرق) لها (أو أجحف بها عطش) بأن قلّ ماؤها فلم تأت بالزّرع الكافي (خففت عنهم) في الخراج (بما ترجو أن يصلح أمرهم) حسب نظرك في قدر التّخفيف. (ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤنة عنهم) بأن تعدّ الذي لم تأخذ عنهم من المال المقدر عليهم بعنوان الخراج ثقيلا على نفسك، لأنه أوجب تنقيص أموال الدولة (فإنه ذخر) لك عندهم (يعودون به عليك في عمارة بلادك) فإن عمارة البلاد يعود إلى الوالي خيرها (وتزيين ولايتك) بالزرع والعمارة (مع استجلابك) وجلبك (حسن ثنائهم) فإنهم يمدحونك بتخفيفك الخراج عليهم (وتبجحك) أي سرورك (باستفاضة العدل فيهم) أي بأن سببت إفاضة العدل وتكثيره بالنسبة إليهم (معتمداً فضل قوتهم) أي إنك تعتمد وتستند إلى قوتهم المالية وولائهم للدولة (بما ذخرت عندهم من إجمامك) أي إراحتك (لهم) بعد أخذك الزائد (والثقة منهم) فإنهم وثقوا بك وإذا وثقت الرعية بالوالي عملت لأجله بكل إخلاص (بما عودتهم من عدلك عليهم) فإنّ من رأى العدل من واليه واعتاده وثق به (في رفقك بهم) وعدم

العنف في أخذ الخراج كاملاً حين لم يجدوه، (فربّما حدث من الأمور) التي تحتاج فيها إلى مالهم ورجالهم كالحرب الفجائية، أو ما أشبه (ما إذا عولت) واعتمدت (فيه) أي في ذلك الأمر (عليهم من بعد) أي بعد تخفيف الخراج عليهم (احتملوه) وقبلوه (طيبة أنفسهم به) أي بكل طيب نفس، أو لأجل أن أنفسهم طيبة تجاهك، ولذا يتحملون الأمور التي تكلفهم بها.

(فإن العمران محتمل ما حملته) أي إذا كانت العمارة قائمة والزرع نامياً، فكلما حملت أهلها من الخراج سهل عليهم، لأنهم يحصلون الأرباح فيدفعون بعضها إلى الدولة (وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها) فإنهم إذا افتقروا لم يتمكنوا من العمارة فتخرب الأرض، وكيف يريد الوالي منهم الخراج حال أنّهم محتاجون، (وإنما يعوز أهلها) أي يفتقر أهل الأرض الخراجية (لإشراف أنفس الولاة على الجمع) للمال (وسوء ظنّهم بالبقاء) لاحتمالهم أنهم يعزلون عن قريب، ولذا يدخرون المال حتى يكون لهم شيء يعيشون به إذا عزلوا (وقلة انتفاعهم بالعبر) جمع عبرة، وهى ما يوجب إيقاظ الإنسان واعتباره من الأمور التي تحدث.

صفات الكتّاب وحسن اختيارهم

(ثم انظر) يا مالك (في حال كتّابك) الذين يكتبون أمور الدولة (فولّ على أمورك) في شؤون الكتابة (خيرهم) أي أحسنهم (واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك) جمع مكيدة، وهي معالجة المشاكل الحربية والدولية وما أشبه (وأسرارك) المالية وما أشبه (بأجمعهم) متعلق بأخصص (لوجوه صالح الأخلاق) أي أفضل الكتاب صفات وأخلاقا. (ممن لا تبطره) أي لا تطغيه (الكرامة) التي ترى منك (فيجترئ بها) أي بسبب تلك الكرامة (عليك في خلاف لك) بأن يجتري فيخالفك في قول أو فعل (بحضرة ملأ) أي بمحضر من الناس، مما يوجب سقوط هيبتك (ولا تقصر به الغفلة) أي لا توجب غفلته عن أعمالك حتى يقصر في أمرك (عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك) أي في اطلاعك على ما كتب العمّال إليك. (وإصدار جواباتها) أي جوابات كتب العمّال (على الصواب) متعلق بإصدار (عنك) فإن الإنسان غير المهتم، لا يهتم بما ورد وبما صدر بخلاف النبيه الذي لا يفوته شيء (فيما يأخذ لك ويعطي منك) هذا بيان لوجه الصواب، فإنّ الكاتب يلزم أن يعرف ما ذا ينبغي أن يأخذ من العامل للوالي، و(لا يضعف عقداً اعتقده لك) بأن يعقد لك عقداً يكون قليل الفائدة للوالي وضعيف الشروط والبنود. (ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك) أي إذا

أوقعت معاقدة مع أحد كانت ضارة عليك، يعرف الكاتب وجوه حل تلك المعاقدة بالطرق الشرعية حتى تتخلّص من هذه المشكلة (ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور) بأن يكون عارفاً بمقدار نفسه، (فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل) ومن يجهل مقادير الناس لا يتمكن أن يكتب إليهم على وجه الصواب والحكمة.

(ثم لا يكن اختيارك إيّاهم) أي للكتّاب (على فراستك) أي قوّة ظنّك وحسن نظرك (واستنامتك) أي ثقتك وسكونك بالأشخاص، (وحسن الظن منك) بهذا أو ذاك. (فإنّ الرجال) الذين يريدون الحظوة عند الدولة (يتعرفون لفراسات الولاة) أي يتوسلون لأن يوقعوا أنفسهم عند حسن ظن الولاة، حتى يناط بهم أمر، ويقضى لهم حاجة، (بتصنّعهم) أي بصنعهم الحسن (وحسن خدمتهم) للولاة في ابتداء الأمر (و) الحال أنه (ليس وراء ذلك) التصنع وحسن الخدمة (من النصيحة والأمانة شيء) فقد وقع الوالي في أحبولتهم إذا عمل بحسن فراسته.

(ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك) فمن أحسن في عمله سابقا يستخدم، ومن لم يعمل يترك (فاعمد) أي اعتمد للاستخدام (لأحسنهم ـ كان ـ في العامة أثرا) بأن رضيت عنه عامة الناس (وأعرفهم بالأمانة وجهاً) بأن عرف الناس وجهه بالأمانة في الأمور (فإنّ ذلك) الاختبار للكاتب (دليل على نصيحتك) يا مالك (للّه

ولمن وليت أمره) يعنى الإمام نفسه الكريمة.

(واجعل لرأس) أي لرئاسة (كل أمر من أمورك رأساً منهم) أي رئيساً من الكتّاب، فللخراج كاتب، وللجند كاتب، وللعمال كاتب، وهكذا بحيث يكون ذلك الكاتب (لا يقهره كبيرها) أي لا يسبب غضبه كبير الأمور الملقاة على عاتقه (ولا يشتت عليه كثيرها) أي يكون قادراً على ضبط الكثير من الكتابات والأعمال، فلا يتفرق عليه بحيث لا يعلم بعضها ويفوته (ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت) أي تغافلت (عنه ألزمته) أي ألزمك الناس بذلك العيب، وألصق العيب إليك فإنّ النّاس يقولون إنّه من عيب الوالي، وإلاّ أصلح الكاتب.

التجار وذوو الصناعات

(ثم استوص بالتجار) أي أوصهم بحسن العمل (وذوي الصناعات) من الكسبة (وأوص) الناس (بهم) أي بالتجار وذوي الصناعات (خيراً) بأن يحسن العمّال والكتّاب وسائر موظّفيك إليهم، ولا يؤذوهم من غير فرق بين أقسامهم (المقيم منهم) في البلد (والمضطرب بماله) الذي يتردّد بين البلدان للاتجار (والمترفق ببدنه) أي صاحب الصنعة الذي يزاول الصنعة كالنجار والحداد. (فإنهم) أي التجار وذوي الصناعات (مواد المنافع) إذ المنافع تأتي

منهم (وأسباب المرافق) أي الحاجات، فإنهم يطلبون الحاجات للناس، ويصنعون الصّنائع المحتاج إليها (وجلابها) أي الذين يجلبونها (من المباعد) أي الأماكن البعيدة (والمطارح) أي أماكن السّقوط والطّرح، كالجبال وسائر المحلات التي يطرح فيها تلك الحاجيات (في برك وبحرك وسهلك وجبلك) السهل مقابل الجبل. (و) يجلبونها من (حيث لا يلتئم الناس لمواضعها) أي لا يتمكن الناس أن يبقوا في تلك الأماكن لصعوبة البقاء هناك، كالجزر وما إليها (ولا يجترؤون عليها) لأنها موضع الخوف أو ما أشبه.

ثم علل عليه السّلام قوله: «استوص وأوص» بعلة أخرى بقوله: (فإنّهم) أي التجّار والصنّاع (سلم) أي مسالمون (لا تخاف بائقته) أي داهيته وأضراره، إذ التجّار لا يحاربون الدولة ولا يثورون عليها. (وصلح) أي مصالحون (لا تخشى غائلته) أي ضرره وعصيانه (وتفقّد أمورهم) أي ابحث عن أحوال التجار (بحضرتك) أي الذين هم في بلدك (وفي حواشي بلادك) أي من كان منهم في أطراف البلاد (واعلم) يا مالك (مع ذلك) الذي ذكرت من مدح التجار (أنّ في كثير منهم ضيقاً) في الخلق والمعاملة (فاحشاً) أي كثيراً (وشحّاً) أي بخلاً (قبيحاً) موجباً لقبح صاحبه لكثرة البخل (واحتكاراً للمنافع) أي حبساً لها عن النّاس رجاء الزيادة في السعر والغلاء (وتحكماً) أي حكماً بالجور (في البياعات) أي المبايعات إذ

يجعلون عليها أثماناً غالية.

(وذلك) الذي يفعله بعض التجار (باب مضرة للعامة) أي عامة الناس لما يلحقهم من الأذى من جهة هذه الأعمال (وعيب على الولاة) لدلالة ذلك على ضعفهم (فامنع من الاحتكار) بأن تأمر التجار بعدم حفظ ما يحتاج إليه النّاس (فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم منع منه) وهدّد من عمل به.

(وليكن البيع بيعاً سمحاً) ليسامح ويسهل فيه (بموازين عدل) لا نقص فيها كما قد يكون ذلك عند بعض الكسبة.

(وأسعار) جمع سعر، بمعنى الثمن (لا تجحف) أي لا تضر (بالفريقين من البائع والمبتاع) أي اشترى، يقال ابتاع المتاع إذا اشتراه (فمن قارف) أي ارتكب (حكرة) أي احتكاراً (بعد نهيك إيّاه) عن الاحتكار (فنكّل به) أي أوقع به النكال والعذاب (وعاقبه في غير إسراف) بأن لا تكثر من العقوبة، وإنما بمقدار الاستحقاق.

المحرومون

(ثمّ) اذكر (اللّه اللّه) يا مالك (في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم) أي لا علاج لهم في إدارة أمورهم (من المساكين) جمع مسكين، وهو الذي أسكنه الفقر من الحركة، فلا يتحرك كما يتحرك الأغنياء. (والمحتاجين) جمع محتاج، أي صاحب الحاجة

(وأهل البؤسى) بمعنى شدّة الفقر من البؤس (والزمنى) جمع زمين، وهو المصاحب بالزمانة، أي العاهة والمرض المانعان عن الاكتساب (فإنّ في هذه الطبقة قانعاً) بمعنى السائل، من قنع بمعنى سأل (ومعتراً) أي متعرضا للعطاء بلا سؤال (واحفظ للّه ما استحفظك) أي طلب سبحانه منك الحفظ (من حقّه) تعالى (فيهم) أي في أهل المسكنة والحفظ بإدارة شؤونهم وتفقّد أحوالهم والقيام بحوائجهم.

(واجعل لهم قسماً من بيت مالك) الذي يجمع من الخراج والزكاة والجزية وما أشبه (وقسماً من غلات صوافي الإسلام) غلات جمع غلة، وهي الثمرة كالحنطة والشعير، وصوافي الإسلام جمع صافية، وهي أرض الغنيمة التي اغتنمها المسلمون باسم الإسلام، ومعنى في كل بلد، توصية العمال بإعطائهم في سائر البلاد. (فإن للأقصى) أي الأبعد (منهم) أي من الفقراء والمساكين الذين في سائر البلاد (مثل الذي للأدنى) أي للأقرب إليك الذي في بلدك، فتعطى لأهل بلدك من بيت المال، ولأهل سائر البلاد من الصوافي حيث لا بيت مال هناك (وكل قد استرعيت حقّه) أي طلب سبحانه منك أن ترعى حقّهم قريباً كان أم بعيداً، (فلا يشغلنك عنهم بطر) أي طغيان الملك والنعمة، كما هي عادة الرؤساء يشغلون بأمرهم عن تفقد سواهم (فإنك لا تعذر) أي لا يقبل اللّه

ولا الناس عذرك (بتضييعك التافه) أي بعدم اعتنائك بالشيء القليل من الأمور (لأحكامك الكثير المهم) فإنّ الإنسان مسؤول عن التافه كما هو مسؤول عن الكثير، فاللازم مراعاة الأمرين، لا ترك التافه والاعتناء بالكثير.

(فلا تشخص) أي لا تصرف (همّك) أي اهتمامك (عنهم) أي عن ملاحظة شؤون الفقراء والمساكين (ولا تصعّر) أي لا تمل (خدّك عنهم) كما يفعل المتكّبرون.

(وتفقّد) أي ابحث عن (أمور من لا يصلك إليك منهم) أي من الفقراء (ممن تقتحمه العيون) أي تنظر إليه باحتقار (وتحقره الرّجال) لعدم أهمية له ورثاثة أثوابه (ففرغ لأولئك) الفقراء (ثقتك) أي الموثقين من أصحابك، ليفحصوا عن شؤونهم وخصوصياتهم (من أهل الخشية) من اللّه سبحانه حتى يخافوه في أمر الفقراء فلا يهملوهم.

(والتواضع) حتى لا يتكبروا عن مباشرتهم والفحص عنهم في الخرائب والخانات وما أشبه، فإذا تفحصوا عنهم ووجدوهم (فليرفع) أولئك الثقاة (إليك أمورهم) أي أمور الفقراء (ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى اللّه) أي بما يقدم لك عذراً عنده سبحانه (يوم تلقاه) بعد الموت، حتى لا يقول لك: لماذا ضيعت الفقراء (فإنّ هؤلاء) الفقراء (بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم)

لمسكنتهم وانقطاعهم. (وكل) أي كل واحد من هؤلاء الفقراء، أو من كل طبقة (فأعذر إلى الله) أي ائت بما يعذرك عند اللّه (في تأدية حقّه إليه) أي بإعطائك له حقّه الذي أوجبه سبحانه عليك.

الأيتام وذوو الحاجات

(وتعهّد) بالبحث والقيام بالحوائج (أهل اليتم) أي الأيتام (وذوي الرقة في السن) أي المتقدمون في العمر الذي رق عظمهم وحالهم (ممّن لا حيلة له) أي لا علاج له في إنجاز أموره، (ولا ينصب للمسألة نفسه) أي لا يقوم بنفسه للسؤال (وذلك) العمل بأن ينصب نفسه للفحص عن الطبقة السفلى (على الولاة ثقيل) لكثرة أشغالهم وعدم رجاء فائدة من وراء هؤلاء الفقراء (والحق كله ثقيل) إذ الإنسان يريد أن لا يكون مقيّداً، بل يعمل كيف يشاء يكذب ويخون ويتبع الشّهوات المحرمة وهكذا. (وقد يخفّفه اللّه) أي يجعل الحق على أنفسهم خفيفاً غير ثقيل (على أقوام طلبوا العاقبة) المحمودة في الآخرة (فصبّروا أنفسهم) عن اقتراف الآثام (ووثقوا بصدق موعود اللّه لهم) أي ما وعده سبحانه من الجنان والثواب.

(واجعل) يا مالك (لذوي الحاجات) الذين يحتاجون إليك لحل قصة، أو طلب شيء أو رفع ظلامه أو ما أشبه (منك) أي من نفسك (قسماً) بأن تجعل بعض أوقاتك لهم (تفرغ لهم فيه) أي في

ذلك القسم (شخصك) بالذات.

(وتجلس لهم مجلساً عاماً) يحضره عموم الناس المحتاجين (فتتواضع فيه) أي في ذلك المجلس (للّه الذي خلقك) حتى يتمكن كل ذي حاجة أن يبدي حاجته، إذ الناس لا يتمكنون أن يتكلموا مع المتكبرين.

(وتقعّد عنهم جندك وأعوانك) بأن تأمرهم أن لا يتعرضوا لهم بالمنع أو الأذى (من أحراسك) جمع حرس بمعنى الحافظ (وشُرَطِكَ) جمع شرطة على وزن غرفة، وهم طائفة من أعوان الدولة بخلاف الحارس الذي هو خاص برئيس الدولة أو ما أشبه (حتى يكلمك متكلمهم) أي من يريد الكلام من ذوي الحاجات في حال كونه (غير متتعتع) التعتعة في الكلام التردد فيه من عجز، والمراد غير خائف، فإنّ الخائف لا يتمكن من الإفصاح عمّا لديه. (فإنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن) واحد، بل في مواطن ومواضع عديدة: (« لن تقدس ») أي لن تطهر من الرذائل (« أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع ») أي في حال كون الأخذ بغير تعتعة بل بكل جرأة.

(ثم احتمل) أي تحمل يا مالك (الخرق) أي العنف في الكلام (منهم) أي من ذوي الحاجات حين يطلبون حاجتهم (والعي) أي العجز عن الإفصاح بحاجتهم، والمراد عدم الضجر بذلك.

(ونح عنهم الضيق) أي لا تضيق خلقك (والأنف) أي الاستنكاف، فلا تأنف للتكلم معهم (يبسط الله عليك بذلك) أي بسبب ذلك التحمل بكل لين ورفق (أكناف رحمتك) أي أطرافها (ويوجب لك ثواب طاعته) حيث أطعته فيما أمرك من مراعاة الرعية (وأعطيت ما أعطيت هنيئاً) لا بأن تمنّ أو تعنف في الإعطاء حتى تكون العطية ثقيلة على الأخذ غير هنيء لديه.

(وامنع) إذا أردت منع أحد عن العطية (في إجمال) أي في منع جميل (وإعذار) أي بتقديم عذر عن منعك لا منعاً قاسياً.

(ثمّ) هناك (أمور من أمورك) المربوطة بك (لا بد لك) يا مالك (من مباشرتها) أي معالجتها بنفسك، (منها إجابة عمالك بما يعيا) ويعجز (عنه كتّابك) فقد لا يعرف الكاتب كيف يجيب سؤال العامل فلا بد لك أن تجيب بنفسك ذلك السؤال، وإلاّ فقد ضيّعت الأمر ـ إن وكلت كل الأمور إلى الكتاب ـ (ومنها إصدار حاجات الناس) أي إعطاؤهم حاجاتهم (يوم ورودها عليك) بأن تعجّل في الإعطاء (بما تحرج به صدور أعوانك) أي تضيق صدورهم عن القضاء السريع، وإنما يريدون المماطلة إما إظهاراً للكبرياء، أو تعاجزاً عن التعجيل، أو ما أشبه ذلك.

إدارة الوقت:

(وامض لكل يوم عمله) أي نفذ في كل يوم عمله المربوط به

ولا تؤخر العمل (فإن لكل يوم ما فيه) من الأعمال (واجعل لنفسك) في العبادة والضراعة (فيما بينك وبين اللّه أفضل تلك المواقيت) التي تقسمها على أعمالك (وأجزل) أي أحسن وأعظم (تلك الأقسام) الموزعة على الأشغال. (وإن كانت) الأوقات (كلّها للّه) سبحانه يعطي عليها الأجر (إذا صلحت فيها النية) بأن قام الإنسان بكل عمل يعمله، حتى الأكل والوقاع، قربةً إليه (وسلمت منها الرعية) بأن عمل الوالي لأجل سلامة المسلمين (وليكن في خاصة ما تخلص به للّه دينك) أي في أخص الحالات التي تتدين فيها للّه (إقامة فرائضه) هذا اسم «ليكن» (التي هي له خاصة) وليست مربوطة بشؤون الرعية (فأعط اللّه من بدنك) أي بعض بدنك (في ليلك ونهارك) بإقامة الصلاة وما أشبه.

(ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك) الذي تأتي له (كاملا غير مثلوم) أي غير مخدوش بشيء من الموانع (ولا منقوض) بمثل الرياء والعجب، فمثلا يأتي الإنسان بالصلاة كاملة بآدابها وشرائطها خالية عن الرياء والموانع (بالغاً من بدنك ما بلغ) أي وإن بلغ تعب بدنك في سبيل الإتيان بالفرائض مبلغاً عظيماً، فإن اللازم أن يهتم الإنسان بأداء ما عليه، ولا يعتني بتعبه ونصبه.

(وإذا قمت في صلاتك للناس) بأن صلّيت معهم في جماعة (فلا تكوننّ منفراً) أي موجباً لنفرة الناس وفرارهم بتطويلك

للصلاة (ولا مضيعاً) للصلاة بالنقص في الأركان والشرائط (فإنّ في النّاس من به العلة) أي المرض الذي لا يتمكن من الطول (وله الحاجة) التي تفوت إذا طوّل صلاته (وقد سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ حين وجّهني إلى اليمن ـ) فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمام عليه السلام إلى اليمن في مهمّة، كما هو مذكور في التواريخ، وكان ذلك عام حجة الوداع (« : كيف أصلّي بهم») طويلاً أم قصيراً (فقال) صلى الله عليه وآله: («صلّ بهم كصلاة أضعفهم») فلا تطوّل («وكن بالمؤمنين رحيماً») تعطف عليهم وترحمهم.

احتجاب الحكام والولاة عن الرعية

(أمّا بعد) ما تقدم يا مالك (فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك) بأن لا تظهر لهم مدة طويلة (فإن احتجاب الولاة عن الرعية) وعدم ظهورهم أمام الناس في المناسبات ـ كما يفعله المتكبرون بزعم الإبقاء على هيبتهم ـ (شعبة من الضيق) أي ضيق صدر الوالي من حوائج الناس (وقلة علم بالأمور) لأنه لو علم الأمور كما ينبغي قضى البعض المكن، واعتذر اعتذاراً مقنعاً عمّا لا يمكن (والاحتجاب منهم) أي من الرعية (يقطع عنهم) أي عن الولاة (علم ما احتجبوا دونه) أي جعلوا لأنفسهم حجاباً دون ذلك

الأمر، حين لم يعرفوا الأمر المحجوب عنه.

(فيصغر عندهم الكبير) إذ إنهم لا يعرفون الأمور إلاّ بواسطة، والواسطة قد يجعل الأمر الكبير صغيراً تزلفاً، فلا يهتم له الوالي وذلك يفسد عليه الأمر (ويعظم الصغير) بعكس ذلك (ويقبح الحسن، ويحسن القبيح) فيرتّب الوالي آثار الضد على ضده مما يوجب الفساد (ويشاب الحق بالباطل) أي يخلط بينهما.

(وإنّما الوالي بشر) لا يعلم الغيب (لا يعرف ما توارى عنه النّاس به من الأمور) أي ما أخفى الناس عنه، وضمير «به» راجع إلى «ما» ومصداقه «من الأمور» (وليست على الحق سمات) جمع سمة، بمعنى العلامة، أي ليس للحق علامات ظاهرة حتى يعرف الوالي الحق من الباطل بواسطة تلك العلامة، حتى (تعرف بها) أي بتلك السمات (ضروب الصدق من الكذب) أي أقسام الصدق.

(وإنّما أنت) يا مالك الأشتر (أحد رجلين إما امرئ سخت نفسك بالبذل) لنفسك ومالك (في الحق) وحوائج النّاس (فـ) إذاً (فيم احتجابك) أي لما ذا تحتجب عنهم، هل تحتجب (من واجب حقّ تعطيه) أي هل تريد الفرار من حق واجب (أو فعل كريم تسديه) أي عمل تقوم به في قضاء حوائج الناس (أو) أنت الرجل الثاني بأن تكون (مبتلى بالمنع) تمنع الناس حوائجهم وحينئذ لا احتياج إلى الاحتجاب (فما أسرع كف الناس عن مسألتك) أي

إنهم يكفون عن سؤالك فورا (إذا آيسوا من بذلك) وإعطائك. (مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك) أي لا كلفة ولا صعوبة لأنها أمور ضئيلة تافهة، فإذا ظهرت للناس وسألوك إياها تمكنت من قضائها بلا صعوبة (من شكاة مظلمة) أي شكاية عن ظلم فتأمر من ينهى الظالم عن ظلمه (أو طلب إنصاف في معاملة) فيما يريد أحد المتعاملين الإجحاف بحقّ الآخر، فتأمر من يأمره بالإنصاف، وأمثال هذه الأمور خفيفة لا تهمّ حتّى يحجب الوالي عن النّاس لأجلها.

بطانة الحكام والولاة

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة) البطانة ضد الظهارة في الثياب، والمراد هنا المقرّبون إلى الوالي الجلاّس له (فيهم استئثار) أي حبّ لجمع الأموال والوجاهات لأنفسهم (وتطاول) أي ترفع على الناس بالجبروت (وقلّة إنصاف في معاملة) يعاملون الناس بها (فاحسم) أي اقطع (مادة أولئك) البطانة (بقطع أسباب تلك الأحوال) أي قطع أسباب تعديهم بأن لا تعطهم المجال للاستئثار والتطاول. (ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وحامتك) الحامة كطامة الخاصّة والقرابة (قطيعة) هي الأرض التي يمنحها الخليفة أو الوالي لأحد والمصدر الإقطاع (ولا يطمعنّ) أحد من حاشيتك وحامتك (منك في اعتقاد

عقدة) أي في اقتناء ضيعة، فإنّ العقدة بمعنى الضيعة (تضر بمن يليها من الناس) إذا كانت بيد حاشيتك (في شرب) أي النصيب من الماء بأن يأخذ الماء بنفسه، فيضر ذلك بأراضي المجاورين. (أو عمل مشترك يحملون مؤنتهم) ومصارفه (على غيرهم) مثلا يحتاج النهر إلى الكرى، فإذا أعطيت الضيعة للحاشية، حملوا مؤنة الكرى على المشترك وهكذا (فيكون مهنأ) أي المنفعة الهنيئة لـ (ذلك) الشيء أعطيته للحاشية (لهم دونك) إذ لا تنتفع أنت بتلك الضيعة أو العقدة (وعيبه عليك في الدنيا) بذم الناس لك (والآخرة) بإثم أعمال الحاشية وأنت قادر على منعهم.

لزوم الحق وطلب عاقبته

(وألزم الحق من لزمه) أي من لزم عليه الحق، فإذا كان الحق يرى لزوم أحد، فألزمه كما يأمر الحق (من القريب والبعيد) ولا تترك الحق الذي ثبت على القريب خوفاً أو شفقةً أو ما أشبه (وكن في ذلك) الإلزام للحق (صابراً) متحمّلاً للأذى الذي يتولد منه (محتسباً) أي تحسب ذلك عند الله سبحانه، بأن يكون إلزامك وصبرك له سبحانه (واقعاً ذلك) الإلزام بالحق (من قرابتك) أي أقوامك (وخاصتك) أي حواشيك (حيث وقع) أي ولو كان في غاية الثقل عليهم.

(وابتـغ) أي اطلـب (عاقبتـه) أي عاقبـة إلـزام الحـق (بمـا يثقـل عليك منه) أي من الحق، فإنّ في بعض الأحيـان يلـزم العمـل بـالحق ثقلا كبيراً على الإنسان، لكـن هـذا الثقـل يثمـر عاقبـة حسـنة (فـإن مغبة) أي عاقبة (ذلك) الإلزام بالحق (محمودة) في الدنيا بحسن الثناء الناس، والآخرة بالأجر والثواب.

(وإن ظنت الرعية بك حيفا) أي ظلماً بالنسبة إليهم بأن ظنّـوا أنـك قصـرت في أمـوالهم أو في إدارتهـم أو مـا أشبـه، (فاصـحر) أي أظهر (لهم بعذرك) أي بين وجه ذلك العمـل إن أتيته، أو بـين أنـه افـتراء عليـك إن لم تأتـه (وأعـدل) أي أصـرف (عنـك ظنـونهم بإصـحارك) أي بإظهـارك الحـق (فـإنّ في ذلـك) الإظهـار لـدى ظـن السوء بك (رياضة منك لنفسك) أي تعويـداً لنفسـك على العـدل، وإرغاماً لكبرك على الخضوع فإن الإنسـان لا يحب أن يتنـازل لبيـان أعذاره لدى الناس، إذ يراهم أنهم دون ذلك.

(ورفقـاً برعيتـك) لأن مثـل هـذا العمـل يوجـب الرفـق واللـين بالنسبة إلى الرعية (وإعذاراً) أي إظهاراً للعذر (تبلـغ بـه) أي بسـبب هذا الأعذار (حاجتك من تقويمهم على الحق) فإن من يحضر لإبـداء عذره لا يجوز عن باطل غيره، وإذا عرف الناس منه ذلـك اسـتقاموا على الحق في أمورهم.

أصالة الصلح والسلام

(ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه) أي إلى ذلك الصلح (عدوك و) الحال أن (للّه فيه) أي في ذلك الصلح (رضى) بأن لم يكن الصلح محرماً من جهة من الجهات (فإنّ في الصلح دعة) أي راحة (لجنودك وراحة من همومك) فإن المحارب يتحمل هموماً جمّة بخلاف المصالح (وأمناً لبلادك) لأنّ الناس في أيام السلم يأمنون ويعملون بكل راحة لترقية البلاد.

(ولكن) خذ (الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه) معك فلا تغفل منه طرفة عين، ولا تتساهل في العدة والعدة والتهيؤ اعتماداً على الصلح (فإن العدو ربما قارب) أي تقرب منك بالصلح (ليتغفل) أي ليغفلك فيغدرك فجأة في حال الغفلة منك (فخذ بالحزم) أي ملاحظة الأمور والحيطة لها (واتهم في ذلك) الحزم (حسن الظن) فلا تحسن ظنك بالعدو مهما كان ظاهر الصدق.

العهود والعقود والمواثيق

(وإن عقدت بينك وبين عدوّك عقدة) أي معاهدة (أو ألبسته منك ذمة) بأن يكون في ذمامك وأمنك، والأول للمكافئ، والثاني للعدو الضعيف، (فحط) من حاط أي احفظ (عهدك بالوفاء) فلا تخن العهد (وارع ذمّتك بالأمانة) أي كن أميناً في ذمتك فلا تخن الذمام (واجعل نفسك جُنة) أي وقاية (دون ما أعطيت) أي حافظ

على العهد بنفسك حتى إذا وجه إليك سهم الانتقاد فاقبله ولا تخن (فإنه ليس من فرائض اللّه شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم) وميولهم (وتشتت آرائهم) أي اختلاف أنظارهم (من تعظيم الوفاء بالعهود) فإنّ كل الناس يعظمونه مهما اختلفت آراؤهم و«الناس» مبتدأ خبره «أشده»، وقوله: «مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم» جملة معترضة (وقد لزم ذلك) الوفاء بالعهود (المشركون فيما بينهم) بأن أوصى بعضهم بعضا بأن لا يخونوا (دون المسلمين) أي بالنسبة لعهدهم مع المسلمين مع ما هم عليه من الشّرك وعداوة الإسلام (لما استوبلوا من عواقب الغدر) أي لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة مهلكة، واستوبل بمعنى عدّه وبيلا، أي مهلكاً قبيحاً.

(فلا تغدرن) يا مالك (بذمتك ولا تخيسن) أي لا تخوننّ (بعهدك) الذي عاهدت (ولا تختلن) الختل الخداع (عدوّك) أي لا تخدعه بإعطائه الأمان ثم نقضه (فإنه لا يجترئ على اللّه) بنقض العهد الذي أوجب الوفاء به كما قال سبحانه: ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولا﴾ (الاّ جاهل) بعواقب النقض (شقي) قد وجب عليه العقاب. (وقد جعل اللّه عهده وذمّته) أي العهد الذي أوجده بين الناس والذمة التي جعلها وديعة عند كل أحد (أمناً) أي لأجل أمن بعض من بعض (أفضاه) أي أفشاه وجعله (بين العباد برحمته)

ولطفه ، (وحريماً) أي شيئا حرام خلافه (يسكنون) أي يطمئن الناس (إلى منعته) أي ماله من قوة يلتجئ الناس إليها ، إذ لولا خلقه سبحانه للعهد والذمة لم يكن للخائفين والمحاربين ملجأ وملاذ (ويستفيضون) أي يفزعون بسرعة (إلى جواره) أي جوار العهد والذمة فراراً من الخوف عن الحرب وما أشبه ، (فلا إدغال) أي إفساد بنقض العهد (ولا مدالسة) أي تدليس بإظهار الأمان والمباغتة بالخيانة (ولا خداع فيه) أي في العهد.

(ولا تعقد عقداً) بينك وبين غيرك (تجوز فيه العلل) بأن كان العقد غير صريح في المراد ، فيجوز فيه احتمالات ، وعلل : جمع علة وهي ما يطرأ على الكلام من الاحتمالات المفسدة لاستفادة المراد منه.

(ولا تعولن) أي لا تعتمدن (على لحن قول) اللحن ما يقبل التوجيه كالتورية والمفهوم المخالف وما أشبه (بعد التأكيد) من العهد (والتوثقة) أي الوثوق بأن تريد نقض العهد فتعلل بأن العهد لم يكن صريحا وهكذا بالنسبة إلى العقد ، كما يفعل ذلك من لا وجدان له.

(ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد اللّه) بأن عاهدت مع أحد ثم رأيت ضيقاً من الوفاء بالعهد (إلى طلب انفساخه) متعلق بـ «لا يدعونك» أي لا تطلب انفساخ العهد (بغير الحق) هذا بيان

لطلب الانفساخ (فإنّ صبرك على ضيق أمر) أي أمر ضيق عليك أوجبه العهد (ترجو انفراجه) بتمام مدة العهد أو ما أشبه (و) ترجو (فضل عاقبته) إذ تعرف لدى الناس بأنّك وفي بالعهد بالإضافة إلى ما لك من الثواب الجزيل (خير من غدر) بالعهد (تخاف تبعته) أي إثمه عند الناس وعند اللّه.

(وأن تحيط بك من اللّه فيه) أي في ذلك الغدر (طلبة) أي مطالبته سبحانه بحقّه في الوفاء، فإذا لم تفعل الوفاء استحققت العقاب (فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك) من الإقالة بمعنى طلب الفسخ والعفو أي لا تقدر بعد الغدر أن تستقيل الناس بأن يعفوا عن غدرك ولا يذموك، وأن تستقيل اللّه بأن يعفو عنك ولا يعاقبك.

حقن الدماء

(إيّاك) أي احذر يا مالك (والدماء وسفكها) أي إراقتها بقتل الناس (بغير حلها) الذي أحله اللّه سبحانه كالمفسد والقاتل ومن أشبههما (فإنه ليس شيء أدنى) أي أقرب (لنقمة) أي لغضب اللّه سبحانه (ولا أعظم لتبعة) أي الإثم والعقاب (ولا أحرى) أي أجدر وأحق (بزوال نعمة وانقطاع مدة) أي مدة العمر بالموت (من سفك الدماء بغير حقّها) فإنه يوجب كل ذلك. (واللّه سبحانه

مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا) أي سفك بعضهم دم آخر (من الدماء يوم القيامة) فإن أول شيء يحكم هناك حوله هو الدماء (فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام) كما يفعل الجبارون إذ يقتلون الأبرياء لأنهم أمروا بمعروف أو نهوا عن منكر أو ما أشبه ذلك (فإنّ ذلك) السفك (ممّا يضعفه) أي يضعف السلطان (ويوهنه بل يزيله وينقله) من سفك إلى غيره.

(ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد) أي في ما إذا قتلت بريئاً عمداً (لأنّ فيه) أي في قتل العمد (قود البدن) أي القصاص الواقع على جسم القاتل فلا يمكن صرف النظر عن القصاص (وإن ابتليت بـ) قتل (خطأ) بأن لم تتعمد القتل (و) إنما (أفرط عليك سوطك) بأن كتب تريد الحد أو التعزير تأديباً فسبب السوط موت المجرم (أو سيفك) كأن أردت التأديب بالسيف فقتل المجرم (أو يدك بالعقوبة) التي تريدها بالمذنب (فإنّ في الوكزة) هي الضربة بقبضة اليد (فما فوقها) من أقسام الضرب (مقتلة) أي قتل، وهذا تعليل لكون السوط ونحوه قد يفرط، (فلا تطمحن) أي ترتفعن (بك نخوة سلطانك) أي كبريائه (عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول) أي ورثته (حقّهم) من دية الخطأ.

(وإيّاك) يا مالك (والإعجاب بنفسك) بأن تحسن الظن بنفسك وأن ما عملت حسن (والثقة بما يعجبك منها) بأن تثق بالعمل الذي يسبب أن تعجب بنفسك لأنها أدت مثل ذلك العمل (و) إياك و(حب الإطراء) أي حب أن يثنى الناس عليك ويمدحوك (فإنّ ذلك) كلّه (من أوثق فرص الشيطان) أي أحسن فرصته التي تسبب هلاك الإنسان (في نفسه) الضمير عائد إلى الشيطان (ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين) أي ليبطله، فإن الإنسان إذا عجب بنفسه بطل عمله، وكذلك من أحبّ الإطراء على عمله، إذ يدلّ على كون العمل ليس للّه سبحانه، وإنّما للرياء والسمعة.

(وإيّاك) يا مالك (والمنّ على رعيتك بإحسانك) بأن تمنّ عليهم إذا أحسنت إليهم (أو التزيد) أي إظهار الزيادة (فيما كان من فعلك) بأن تريد إظهار أنه فوق الذي عملت حقيقة (أو أن تعدهم) وعداً (فتتبع موعدك بخلفك) بأن تخلف وعدك. (فإنّ المن يبطل الإحسان) لدى الناس ولدى اللّه سبحانه (والتزيد يذهب بنور الحق) فإنّ للحق نوراً، فإذا أظهر الشخص أنه عمل فوق ما عمله، لم يكن لما عمله وقع ونور في أعين الناس (والخلف) للوعد (يوجب المقت) أي الغضب (عند اللّه و) عند (النّاس) فيكرهون الإنسان المخلف لوعده، وقال اللّه تعالى: («كبر مقتاً عند اللّه» أي

انّه مقت كبير «أن تقولوا ما لا تفعلون») من الأعمال، والآية عامة شاملة للوعد كما تشمل الأمر بالحسن والنهى عن القبيح.

(وإيّاك) يا مالك (والعجلة بالأمور) بأن تأتي بها (قبل أوانها) جمع آن، بمعنى الوقت (أو التسقط فيها) أي التهاون ـ عكس العجلة ـ (عند إمكانها) بأن جاء وقتها (أو اللجاجة فيها) بالإصرار لفعلها (إذا تنكرت) أي صعبت ولم تتيسّر، بل اللازم أن يترك الإنسان الأمر إذا صعب وأشكل (أو الوهن) والضعف (عنها) وعن الإتيان بها (إذا استوضحت) أي وضحت وتيسّرت. (فضع كل أمر موضعه) اللائق به من الإقدام أو الإحجام والإتيان بالشيء على وجهه (وأوقع كل أمر موقعه) المناسب له.

(وإيّاك) يا مالك (والاستئثار) أي الاستبداد (بما الناس فيه أسوة) أي متساوون بأن تخص نفسك بشيء هو للناس عامة، كأن تتملك الأنهار العامة والمعادن الوسيعة وما أشبه.

(و) إياك و (التغابي) أي التغافل (عما تعني به) أي تقصد أنت به بأن يريده الناس منك (ممّا قد وضح للعيون) أي ظهر وعلم به الناس (فإنه مأخوذ منك لغيرك) أي ما تملكته وخصصته بنفسك سيؤخذ منك لغيرك إذا انتقل الملك عنك فعليك إثمه ولا يبقى في يدك. (وعمّا قليل) «ما» زائدة و «عن» بمعنى بعد (تنكشف عنك أغطية الأمور) فإنّ أمور الآخرة مغطاة لا يراها الإنسان إلاّ إذا مات

(وينتصف منك للمظلوم) الذي استأثرت بحقّه بعد كون الناس كلهم سواء في ذلك.

(أملك) يا مالك (حمية انفك) أي كبرك وترفّعك (وسورة) أي حدة (حدك) أي غضبك (وسطوة يدك) أي الضرب الشديد بها.

(وغرب لسانك) أي شدّتها في القول فإنّ غرب السّيف حدّه، فلا تتكبّر ولا تغضب ولا تضرب أحداً ولا تتكلّم كلاماً حاداً (واحترس) أي احترز وتجنّب (من كلّ ذلك بكف البادرة) أي ما يبدر ويسرع منك من لسانك أو يدك (وتأخير السطوة) والشدة إذا أردتها، فإن في التأخير يرجع العقل إلى الإنسان فلا يفعل إلا اللائق المناسب (حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار) في أن تفعل ومقدار ما تفعل، فإنّ الإنسان لدى الغضب هائج يفعل ما لا يليق.

(ولن تحكم ذلك) الكف للبادرة والتأخير للسطوة (من نفسك) بأن تقوى نفسك على زمامها عند الغضب (حتى تكثر همومك) وأحزانك (بذكر المعاد) أي الرجوع (إلى) ثواب (ربك) وعقابه حتى يتجلى المعاد في النفس، فلا تفعل شيئا إلاّ إذا علم عدم سوء عاقبته.

(والواجب عليك) يا مالك (أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك) بأن تنظر إلى أعمالهم وأحوالهم، فإن السير في أحوال الماضين يوقظ الإنسان ويرشده إلى ما ينبغي أن يعمله، ولذا قال سبحانه :

﴿فسيروا في الأرض﴾ (من حكومة عادلة) بيان «ما» ، (أو سنة فاضلة) أي ذات فضل وحسن (أو أثر) أي خبر وارد (عن نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة في كتاب اللّه) تعالى (فتقتدي) بالعمل (بما شاهدت ممّا عملنا به) الضمير عائد إلى «ما» في «مما» (فيها) أي في ما ذكر من الحكومة والسنة والأثر والفريضة، ولا يخفى أن السنة هنا أعم من الأثر، إذ المراد بها الطريقة الحسنة سواء كانت عن الأنبياء السابقين عليهم السلام أو نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم، أو عمل صالح اعتاده الناس كبناء المدرسة مثلا.

(وتجتهد لنفسك) فإن فائدة الاجتهاد عائدة إلى نفسك (في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا) بأن تتعب لتعمل به في كل أمورك (واستوثقت) أي طلبت الوثوق (به) أي بسبب هذا العهد (من الحجة لنفسي عليك) بأن لا يكون لك عذر إذا خالفت، (لكي لا تكون لك علة) وعذر (عند تسرع نفسك إلى هواها) في خلاف ما بينت لك (وأنا اسأل اللّه بسعة رحمته) أي أجعل سعة رحمته واسطة لإنجاح أمري وإعطاء طلبتي (وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة) «على» متعلق بـ «قدرته» فإنه سبحانه قادر على إعطاء كل ما يرغب الإنسان إليه (أن يوفقني وإياك) يا مالك (لما فيه رضاه) سبحانه (من الإقامة على العذر الواضح إليه) تعالى (وإلى خلقه) أي يوفّقنا لأن نقيم على الحق (مع حسن الثناء في العباد، وجميل

الأثر) الباقي منا (في البلاد) بعمارتها وإصلاحها (وتمام النعمة) بأن يتم سبحانه علينا نعمه (وتضعيف الكرامة) بأن يزيد في كرمه علينا وإكرامه لنا (وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) في سبيل الله (إنا إليه) سبحانه (راجعون) والمراد إلى حسابه وثوابه (والسّلام على رسول اللّه صلّى الله عليه وآله الطيبين) فلا خبث فيهم (الطاهرين) فلا قذارة لهم (وسلم تسليماً كثيراً) ومعنى تسليم اللّه له صلى الله عليه وآله وسلم جعله سالماً من مكاره الدنيا والآخرة، و(السلام).



وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

النجف الأشرف

مرتضى الشيرازي

أهم المصادر:

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة
- غرر الحكم ودرر الكلم: للقاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد الآمدي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء: بيروت لبنان، الطبعة الثانية المصححة: ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- الأصول من الكافي: لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، دار الكتب الإسلامية: طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: للعلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي: بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، المطبعة خورشيد، الناشر دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٤ ش.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة المحققة الأولى: ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م.

- مكارم الأخلاق: للشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
- توضيح نهج البلاغة: لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروتلبنان، الطبعة المحققة الأولى: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الفقه الاقتصاد: لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- السياسة من واقع الإسلام: لآية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- النظام السياسي في الإسلام ، للشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله.
- دولة الرسول صلى الله عليه وآله ، للدكتور محسن الموسوي، مؤسسة دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

ملحق

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الُمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة الفاتحة